

# محاضرات تاريخ الفكر السياسي

السنة الثانية

من الأستاذية في الحقوق

## 1.1 مقادمة

### 1.0 التعريف بالسياسة

#### 1.0.1 في اليونان القديمة

تحديدا يتعلق الأمر هنا بظهور ما كان يُسمى في ذلك العهد بفن السياسة *reine politique* باليونانية القديمة (art politique) وهو فن ساهمت في شخصيات فلسفية تذكر أهمها:

#### • المتكلماني، بروطالوراس Promagoras

لقد ورد عن أفلاطون في محاوره بروطالوراس أن هذا الفيلسوف المتكلماني<sup>1</sup> قام بالتمييز بين الفنون أو التقنيات الكيالية بتحقيق حاجيات الإنسان الأثرية من جهة ثم الفن السياسي من جهة أخرى. أما المصنف الأول فهو يتمثل في نشاطات متخصصة فيما أن فن السياسة يتعلق بنشاط مجموعة المواطنين (332B). وفي الحوار الأفلاطوني نرى بروطالوراس يُخضع المصنف الأول (النشاطات المتخصصة) للمصنف الثاني (فن السياسة). ذلك أن هذا الأخير هو الذي يُمكن -دون غيره- من تحقيق سلامة المجموعة في إطار دولة المدينة<sup>2</sup>. كما أنه في إطار أوسع أي في العلاقات ما بين المدن فإن فن السياسة أضمن من النظام بالقوة فهو الذي يمكن من وضع استراتيجيات مُحكمة كقيلة بتوفير الحماية من أي اعتداء داخلي أو خارجي، و إذا كان لابد من العنف أي الحرب فيكون ذلك امتدادا لرؤية سياسية وهو ما يحقق أوفر نسبة من التوفيق.

#### • الأفلاطون :

أما في ما يتعلق بالأفلاطون نفسه فإنه اعطى لمفهوم السياسة اتجاهها خاصا به مُتبرا عن الرؤية الفلسفية السياسية العامة التي تبلورت من خلال أعماله و بالخصوص في كتاب الجمهورية.

- فن محاوره *Protagoras* يشكل أفلاطون من إمكانية منح السياسة صلاحيات كونية *competence universelle* أي ممارستها من طرف الجميع. بالنسبة له فإن فن السياسة يبقى متاحا للبعض أي لدرجة سياسية. ثم يذهب في تدقيق المفهوم في محاوره *Gorgias* (456B) حيث يبنه من الإشباع الكاذب الذي يكتسبه فن الخطابة *Part oratoire* وهو الفن الملوي بالنسبة للمستعملين لما يشعنه من مُخلاعة وتغليب، إذ هو مؤسس على المدح والتعجب وما ينطوي عن ذلك من إرادة في بسط النفوذ على الغير. فالخطابة حسب أفلاطون هي بمثابة المشاء الذي يحجب حقيقة مُخرجة متممة في فقدان السلطة لمشروعيتها مما يؤدي بالحاكم إلى ممارسة التسلط.

- ومن هناك يتجه أفلاطون نحو فكرة وضع هذا الفن الطوي أي السياسة في مقام بلوق القاعدة الأثنايونية. فن كتاب الجمهورية يقول بأن القانون يُسم بالتعميم *generalite* ha في حين أن فن السياسة فيه من المرونة ما يسمح بإيجاد الحل الملائم لكل وضعية. وفي نفس الكتاب يُقدم أفلاطون حوارا بين سقراط و تازيماك يسمح بإيجاد الحل المناسب لمسألة المل. و في هذا الإطار يعرف أفلاطون الفن الملوي (فن السياسة) بكونه *Thrasymaque* بخصوص مسألة المل. و في هذا الإطار يعرف أفلاطون الفن الملوي (فن السياسة) بكونه يهدف إلى تحسين الجيش بالنسبة لمن يتعاطونه وهو الهدف الأسمى بالنسبة للمجتمع السياسي.

ولا غرابة في طرح هذه الفكرة من طرف أفلاطون باعتبار أن فن عصرنا هذا يبقى المل السياسي من نصيب اللغية فيما للمواطن حق النشاط في حقل مقترح عن فن السياسة هو مجال الحقوق السياسية التي

<sup>1</sup>انظر لاحقا.  
<sup>2</sup>انظر لاحقا.

يعلم سها (هذا في ما يتعلق بالمجتمعات اليموقراطية). لذا - و حسب التوجه الأفلاطوني - سيكون فن السياسة مركزا على تحقيق من سيحترفونه. و بالنسبة لأفلاطون يهدف هذا التعليم إلى بلوغ أعلى درجة ممكنة من العدالة.

- لكن في ما بعد، و في كتاب السياسة *Le Politique* يستترك أفلاطون شيئا ما و يستدل لهذا الفن الطولي و طريقة التأسيس أكثر منها معالجة الأمور. أي إن فن السياسة يسمى بالألماس إلى وضع الأصول و هي القواعد أو المقاييس *normes* التي تلو مرتبة عن للممارسة لكنها تبقى في علاقة دائمة معها. فالتغيير حاصل ولو إنه محدود؛ حاصل باعتبار أن الفيلسوف أصبح يروج القاعدة القانونية و هذا التغيير الوعي من أجل إعادة الاعتبار للفصور التيقرطاطي يُعبر عن تطور بالنسبة لأفكار أفلاطون بالنسبة لما كانت عليه في كتاب الجمهورية.

#### • أرسطو

لما أرسطو في كتاب السياسة *Politique* فهو يمول بكل وضوح في تعريفه للفن السياسي إلى تفضيل القاعدة القانونية وبالتالي فهو يميل في اختياره للنظام السياسي الذي يمثل القاعدة القانونية ولو كان شكله تقليديا (مملكة تحكمها أرسقراطية). فحسن العيش *le bien vivre* - المعروف لديه- هو رهن ممارسة فن السياسة كفن علوي لكن بواسطة القوانين الملازمة *les bonnes lois* التي تضبط المقاييس.

و الاختلاف الوعي مع أفلاطون هو أن أرسطو يعتقد معالجة الأمور أكثر من التأسيس و في ذلك نفس إصلاحي، يتلازم مع ما سبق ليرز - في آخر التحليل- خياره الواضح للنظام السياسي المعتدل بمعنى تجنب كل ما من شأنه أن يزلزل في ظروف ما إلى النظام الطغياني.

#### 1.0.2 في المحيط العربي الإسلامي

##### 1.0.2.1 السياسة لغة

في لسان العرب يعرف ابن منظور السياسة بكونها "المؤنس" و"الرياسة". و السياسة هي فعل السائس الذي يسوس التراب أي يقوم عليها ويرتضيها. وهي القيام على الشيء بما يصلحه. فالو الذي يسوس رعيته. ومن هنا نفهم الحديث النبوي الشريف : " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء". وفي المفهوم الأصلي كلمة سياسة راجعة للحضارة السامية حيث كانت تعني أيضا تربية الخيل.

إن هذه المقاربة الممرقية تشير إلى مرجعية يتجه توضيحها. فهي تتحد من المخيال الشرق أوسطي القديم التي تتلألأه التنبؤات القديمة بما فيها التنبؤات السعادية و هو مخيال يتناول المجموعة البشرية من وجهة نظر تقليدية (فائدة للمفهوم الحديث للمواطنة) مغلها أن السائس أي الحاكم ينظر للمحكومين كرعية في مفهومها التقليدي *peuple sujet*.

وإنطلاقا من هذه النظرة التقليدية تفرغ التعامل مع السياسة وفقا لمزلقين مضادتين: الأولى ترفع من شأنها و ثانية تسعى لتحقيروها. الأولى نجدها مشدودة بالبعد اللبني أساسا. أما الثانية فهي تُعبر عن نوعية المسار السياسي التي تراوح بين إثارة النزعة البدائية و تأسيس النظام الاستبدادي. والثريب في الأمر أن كلتا المزلقين تعبئتنا منذ بداية التاريخ السياسي العربي/الإسلامي.

أمثلة عن منزلة الترفيع من شأن السياسة: ما قاله فراتشة بن عمر العيسى: "فلا قوم نحن إلا خير ساسة". ثم مع حلول العهد الإسلامي، ما قاله الأعرابي لعمر بن الخطاب " ما ساسنا ملك يا ابن الخطاب بعد النبي صاحب الكتاب". ثم خطبة مملوية بن أبي سفيان في أهل الحمرة " إنا أصبحنا لكم ساسة نموسكم بسلطان الله ". لكن من وجهة نظر العقيدة السياسية السائدة يبدو إن العرب اعتبروا أن نزعة الارتقاء وابتعاد عن الوضعية تمثلان في بعض الحالات نقطة ضعف.

فيالرجوع للادب الجاهلي يقول الحطبية: "لقد سوتت أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين". وكان السياسة هي بمثابة لقادان الرجولة أو الشهامة. حتى إن في بداية عصر الحطاط دولة الخلافة (البياسية) أصبحت القوة

كتابة الحرق و الملوم السياسية بتونس. متكررات من درس الأستاذ صلاح الدين بن صيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

مؤسّسة على ملك هذا الأديب المنجّم وهو ما أورده الفاعر صفي الدين الحلي حين قال: "أما قوم أيت أخلاقنا شرفاً أن يبتعدوا بالأذى من ليس يؤذينا".

وعلى مدى القرون توقف الميخيل العربي عند هذه الصورة ليستوحى منها تصوراً مبدئياً أصبح اليوم لا يتماشى بالمرّة مع أمرين أساسيين :

- الأول هو أنّ الشهامة أو القروسة بمفهوم "المعتريّة" تعتلان ظاهرتين أسطوريتين فرمضتا على حساب البعد الارثوفاقي للسياسة كتبرير للامساط والاستبداد.

- الثاني (و هو نتيجة مباشرة للأول) هو أنّ هذه الفتاهمة في مفهومها الدلالي ينتج عنها حكماً تجاهل للواقع الداخلي أو الخارجي فُوضّح مجال الواقع السياسي شبه أسطورياً لتأججه المتغيّرات بمختلف أنواعها و يكون بذلك عرضة للتحوّلات الغير المنتظرة: من احتلال المغالنين لمصر (1517) إلى حرب الخليج الثانية (1991) وقع الخطاب السبيلسي في فح المديح و التعظيم المتجاهل لقوة الدمو بما يجعل الزهامة مُفاجئة و حتمية.

ربما كان لهذا البيت لصفي الدين الحلي معناه من وجهة نظر التراث الشعري أو الأنتروبولوجيا السياسية لأنّك المصّر. لكنّه اليوم لا يفيد أيّ شيء من الناحية السيميائية فتبقى صلبة إعادة بناء الفكر السياسي العربي في حاجة للتفكير الجدي والمسؤول في اتجاه استيعاب سليم و متطوّر لمفهوم السياسة.

### 1.0.2.2.2. تصنيف مفهوم السياسة

يمكن استعراض أهم التعريفات لمفهوم السياسة في الفكر العربي الكلاسيكي انطلاقاً من التراثي وصولاً إلى أحمد ابن أبي الصّيف مع محاولة في التصنيف.

صنّف أول : يتمثل في التعريفات التي ركزت مفهوم السياسة على ظاهرة الحكم.

صنّف ثان : هو الذي يرجّح التعريف الأرسطي للسياسة بمعنى الارتقاء للمدينة.

### 1.0.2.2.1. الصنّف الأول : إثارة مفهوم الحكم (السياسة بمعنى الحكم)

وهو النهج السائد، نستعرض فيه بعض الأعلام منهم شيخ الإسلام " فخر الدين الرازي (1149-1209) الذي يرى أنّ السياسة هي "الرياسة" أي الحكم ويساويه في ذلك الشيخ قتي الدين بن تميمية بشيء من التلطيف إذ يستخدم هذا الأخير مفهوم السياسة الشرعية وذلك للدلالة عن " السياسة المعاملة والولاية المتالحة". فبالنسبة لابن تميمية يجب أن تكون السياسة ظاهرة حكم شريطة أن تتأسس على الشرع و العدل.

ثم يتواصل هذا الصنّف في التعريف... إلى غاية القرن 19 إذ إن أحمد بن أبي الصّيف في كتابه "اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان" 3- الجزء الأول- يعتبر إن السياسة هي " التصرف في مصالح الناس بما تقتضيه الرياسة (السلطة)". كذلك المصالح خير الدين باشا في كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال المسالك": السياسة هي "تسيير أمور الدولة والتصرف في شؤون العامة بمقتضى الملك والرياسة".

إلا إن هذه التعريفات لا تعني أنّ الشخصيتين الأخيرتين من أصل النظام السلطوي المستتب لكنها تدل على نقالة سياسية تقليدية تُرجّح ظاهرة الحكم في التعريف بمفهوم السياسة، بقيت مهيمنة على الثقافة السياسية إلى حد عصر النهضة.

لفي هذا المجال الذي يثير مفهوم الحكم يكون من المفيد الرجوع لبعض التعريفات مثل تلك التي أوردتها ابن المقفع (متوفى في 757/140) في مؤلفه رسالة في الصحابة" إذ يعتبر أنّ السياسة تمثل السلطة التقديرية le pouvoir discretionnaire التي يتّبع بها الحاكم و معنائه خارج نطاق الشريعة. و الهام هنا إنّ هذه السياسة تمتد لتطبيق عقوبات (تزيير) لضمان الأمن و الاستقرار.

من هنا يفتح هذا المعنى للسياسة على أشكال كان قد نيه إليه ابن تميمية (تطابق السياسة و الشرعية). و بالتالي قد تبرّر هذه السياسة الخارجة عن نطاق الشرعية العقوبات الغير الشرعية و ربما تبرير الحكم الاستبدادي.

<sup>3</sup> تونس. النثر التونسية للنشر، الطبعة الثانية 1990، 8 أجزء.

## 1.0.2.2.2. الصنف الثاني : المفهوم الأرسطي

نبدأ بالقرارابي هو الأب الروحي للفلسفة السياسية العربية وهو الذي يعود له الفضل في تقديم مفهوم منطوق للسياسة و قد سماها العلم المدني *la science du politique* و ذلك بالتمييز بين الفلسفة النظرية والفلسفة العملية.

الفلسفة النظرية هي معرفة الأشياء التي لا يمكن تغييرها أما الفلسفة العملية فهي التي يمكن من خلالها تعديل الأشياء أو خلقها. وفي مجال الفلسفة العملية ميز الفارابي بين الأخلاق وسماها " الفن الخلقى" والسياسة باعتبارها "سيدة العلوم قاطبة" ( تسمير أرسطي) وأضغ لها كلمة التصايا الفلسفية الأخرى. والنتيجة هي أن السياسة لم تعد من صنف الممنوعات. فالسياسة كترجع عن الفلسفة المائة تصبح قابلة للتغير والتعديل وهو موقف مناهض للتكبر المتقوي الذي يعتبر السياسة - كملوثة تغيير - من قبيل الممنوعات. ثم ابن سينا الذي أخذ هو أيضا بالتقسيم الأرسطي فتحدث عن الحكمة المائة وصنقها إلى أخلاق، سياسة المنزل فسياسة مدينة.

هذا مع الملاحظة إن الفارابي كجمهور الفلاسفة يعطي أولوية للسياسة على حساب الشريعة خلافا للفارابي - وهو فيلسوف أيضا - أو ابن تيمية - وهو من الفقهاء - اللذان يفضلان الفقه على الفلسفة (ولو من منطقات متباينة).

و تواملا لهذا التصنيف الأرسطي نأتي لتعريف مثير هو تعريف ابن خلدون الذي ربط السياسة بالمران البشري. في دراسة قيمة للاستاذ أحمد عبد السلام تحمل عنوان "رسات في مصطلح السياسة عند العرب" يقول فيها الكاتب إنه بالرغم من إن ابن خلدون وضع (هو الآخر) علاقة بين السياسة والملك إلا أنه تجاوز التعريف التقليدي بالحديث عن السياسة كفن يُطوّر المران البشري. هناك إن علاقة جدلية بين ممارسة السياسة وتطور المران البشري؛ ويقصد هنا ارتقاء المجتمعات إلى طور المدنية.

## 1.0.2.2.3. الصنف الثالث : المجال المستقل

ينفرد هذا الصنف بتحليل أخرج مفهوم السياسة من ثنائية الحاكم والمحكومين وذلك باكتشاف مجال مستقل للسياسة. في هذا الصنف الثالث نجد التول المعلاوي - الروحاني في الفكر العربي الإسلامي مثل جموية إخوان الصفاء أو بعض مظاهر الإسلام الطرقي :

### 1.0.2.2.3.1. تعريف إخوان الصفاء للسياسة

ورد هذا التعريف في كتاب " الراسائل " بالجمك الثالث المتعلق " بالجمسيات الطبيعية". مبدئا بتدرج هذا التعريف ضمن الأصناف المتدالة للسياسة لكن عندما نتعمق فيه نجد غير متداول في الفكر العربي الإسلامي.

في تعريف السياسة يعتمد إخوان الصفاء النظرة الأرسطية فيقولون : " ومن ساس أهله بسيرة عادلة أمكنه أن يسوس قبيلة ومن ساس قبيلة كما يجب أمكنه أن يسوس أهل المدينة ومن ساس أهل المدينة كما يجب أمكنه أن يسوس الأمموس الإلهي ومن ساس الأمموس الإلهي أمكنه الصعود إلى الألاك وسعة السماوات". لكن بالرغم من أن هذا التعريف سبق اعتماده فهو لا يخلو من الأهمية إذ أنه يركز على ظاهرة الارتفاع المعواصل في حسن التدبير السياسي الذي يمكن المرء من معرفة الماورأثيات وهذه إشارة لمرقة منزلة لا الإنسان التي لا حدود لها. وهذا الموقف على عرار التصوّف الإسلامي الذي يرى هو الآخر للإنسان منزلة لا حدود لها يناقض الموقف السلفي في اعتبار هذا الأخير في وضع عودية بمفهوم الإمتثال. فالإنسان حسب إخوان الصفاء هو ذلك الذي لا يمثل لطغيان الفكر النيفي الاستبدادي. وقد قامت الجماعة بترتيب مستويات السياسة حسب خمسة أصناف منها الأصناف المتدالة والأصناف المتبكرة التي سنركز عليها.

## الأصناف المتدالة :

كتابة الحقوق و العلوم السياسية بتونس. مكرات من درس الاستاذ صلاح الدين بن صبيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

- السياسة النبوية التي يضطلع بها الأنبياء والرسل إن " يضمنون التواضع والسكن الزكوة ويحاولون التوسم المرصعة من الديات الفاسدة".
- السياسة العاقلية وهي " سياسة الخفاء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".
- السياسة الخاصة وهي في اللغة الأرسطية معرفة الإنسان لتبديد أمور منزله.

#### الإصناف المتكثرة:

- ◆ السياسة الذاتية :
- " ومدارها معرفة الإنسان لنفسه و إخلاجه، ويعتقد أنه والله وأعماله ". هذا صنف هام جدًا بالنسبة للمفهوم الإرساني الحديثة إذ يشمل الموراد والمفهوم المتعلقة باكتشاف الذات *comnaissance de soi* والتحليل النفسي. وهو مفهوم أساسي راجع للفلسفة اليونانية التي أحدثت مقولة *gnôti seauton* (باليونانية القديمة 'اعرف نفسك بنفسك')، المكتوبة على معبد أبولو Apollon وهي المنطلق لتحديد منزلة الفرد الواعي والمتحرر<sup>4</sup> وفي موقع آخر تحكمت الجماعة عن مفهوم اللاوعي أو اللاشعور *l'inconscient* وهو الذي يشمل المحطات "النفسانية الجالطة".

إن هذه المنهجية وهذه المقاربات الاصطلاحية هي التي خلقت لفسفة الإنسان منذ قيام مجتمع الحديثة. وهو الإنسان الذي يسعى من أجل تحقيق ذاته حتى يتمكن من المطالبة بالحرية ورفع الوصاية عنه.

#### ◆ السياسة العامة أو "العامة" :

- يقول إغوان الصقاه أنها " الرئاسة على الجميئات ". فبالمقارنة مع الأصناف المذكورة اعلاه يُرجّح أن تشير هذه الجميئات إلى صنف الجميئات الفكرية (شأن جمعية إغوان الصقاه) والسياسة التي حارلت منذ بداية الخلافة أن تتفرد بموقف مستقل عن السلطة.
- ورئاسة الجميئات كصنف من أصناف السياسة تبتدع عن تطور فكري في القرن 4 هـ (عصر أبي حنّان التوحيدي و مسكويه و ما سُمّي بالتقوير الإسلامي ...). فهناك طرح لفكرة رائدة بل مستقبلية تناضل من أجل استقلالية العمل السياسي الأهلي (الجميئاتي *associatif*) عن السلطة وهو ما يمثل تطوير سلوك جماعي ضد الاستبداد السلطوي للخلافة.

#### 1.0.2.2.3.2. المجال الأهلي الجميئاتي : الطرق الصوفية نموذجا

كيف تجتم مفهوم السياسة هذا ؟ لا نجد له أثرًا ملموسًا - في تاريخ التزلة الإسلامية - سوى في ظاهرة الطرق الصوفية التي استطاعت في بعض الحالات تجسيم فكرة الفضاء الديني والاجتماعي والثقافي المستقل نسبيًا عن السلطة السياسية (*autonome et non indépendant*). فالطرق الصوفية هي ظاهرة خاصة في تاريخ المجتمع الإسلامي : عندما تتجاوز التحليل المتطحية التي تتميزها ظاهرة فكرية تشتم بالتبعية والتطحات، نكتشف أنها ظهرت تاريخيًا عندما حصلت القطيعة بين الشعوب الإسلامية والسلطة أي عندما حصل تباعد بين الإسلام كمشروع ديني والسلطة السياسية أي الخلافة. لذلك ظهرت الطرق كبديل شعبي لممارسة الدين وإحياء فضاء ثقافي واجتماعي وسياسي مستقل.

#### 1.0.3. تعريف السياسة حسب المدارس الفكرية المعاصرة

##### 1.0.3.1. مفهوم السياسة في الفكر الماركسي

بصرف النظر عن الشيوعية كذهب أو أيديولوجيا والأنظمة الاشتراكية كمارسة سياسية فإن الماركسية تمثل نظرة فلسفية منسجمة للعالم. والتحليل الماركسي لتطور المجتمعات البشرية هو تحليل يعتمد الجدل المادية

<sup>4</sup> انظر لاحقًا

والتحليل التاريخي ويدور حول مسألة مركزية تتعلق في هيئة العمليات الاقتصادية وصراع الطبقات في تفسير الظاهرة السياسية.

فالماركسية تعتبر السياسة كأحدى مكونات البنيان الفوقي *superstructure* وذلك تعبيرا عن التفاعلات الحاصلة على مستوى البنيان السفلي أو التحتي *infrastructure*. هذه العلاقة المباشرة بين البنيين سميت نظرية الانعكاس *theorie du reflet* أي أن التفاعلات الحاصلة في البنيان التحتي تتمكن على البنيان الفوقي. لكن هذه النظرية لها حدود إذ أنه لا يمكن اعتبار أن هذا الانعكاس يحصل بصفة آلية. ذلك ما جعل أنجلز *Ernst Bloch* لتوضيح مسألة الانعكاس. وفي هذا الرسالة قام أنجلز بتصحيح المسألة مذكرا بأن هذا الانعكاس غير مباشر ولو أنه حاصل " في آخر التحليل".

### 1.0.3.2.الخطاة السياسية a modernité politique ومفهوم السياسة

بالرجوع إلى المرحلة التي مهدت للصور الحديثة نجد ماكياثي *Machiavel* (1469-1527) صاحب المؤلف المشهور *Le Prince* الذي يمثل نظرة انتقالية حيث إنه يرى أن الرجل السياسي و بالتحديد صاحب السلطة هو ذلك الذي يُعتب بالأمير الجيد الذي لا يربث السلطة بل يكون قد بلغها بفضل مهارته و اقتداره الذاتي *virtu* (لا بمعنى الفضيلة).

ثم يتطور المفهوم (فن السياسة) مع *Hobbes* (1588-1679). في القسم الثالث من مؤلفه *Le Léviathan* يقوم بمقارنته الشهيرة بين الطبيعة باعتبارها الفن الإلهي *art de Dieu* و الفن الإنساني التي يحدث أو يؤسس الثورة بالمواقف و المصادمات *pactes et conventions* وهو ما يُعنى حصول الفتح الفعالي الذي يبنى النظام السياسي الحديث على أرضية الإجماع السياسي.

وأصبح صورة لذلك هي الفكرة الأصولية للقانون *l'idée de droit* التي طوّرتها المدرسة الدستورية منذ بداية العصور الحديثة إلى حدود العقود الماضية (انظر *Georges Burdeau*) و المتضمنة في أن السلوك السياسي مصدره ضرورة الجيش الجماعي الذي يفرض بدوره إجماع القاعدة القانونية لتنظيم ذلك الجيش بواسطة القيادة السياسية الشرعية التي تتجسد في مؤسسة الثورة. طاهرتان تاريخيتان أساسيتان تجسنان هذا التصور هما الثورة الدستورية البريطانية و الثورة الفرنسية.

- الثورة الدستورية البريطانية التي حصلت على مرحلتين : المرحلة الأولى المسماة بالثورة البريطانية الأولى أو "الثورة الكبير" « *Grande Rébellion* » 1642-1649 ثم الثورة البريطانية الثانية أو الثورة المجيدة « *La Glorieuse Revolution* » 1688-1689.

وقد أبرزت هذه الثورة الدستورية دور العقيدة المسيحية المسمحة الجماهيرية في تنمية و فرض ذهنية الديمقراطية. فكانت نتيجتها قيام النظام البرلماني بمعنى مراقبة السلطة الحاكمة والحد من نفوذها ثم إصدار اللوائح الدستوريةين الأساسيين في قيام النظام الديمقراطي و هما معلنس الحقوق *The Bill of Rights* و الحصانة الجسدية *Habeas Corpus*.

- الثورة الفرنسية سنة 1789. الترس الأساسي منها: تأثير فلسفيّ التوير و حقوق الإنسان على بناء أسس المجتمع الديمقراطي حول قيمة مركزية خاصة بالقط الفرنسي للديمقراطية هي مبدأ المساواة الجمهورية: *l'égalité républicaine*. ومن النتائج الأساسية لهذه الثورة قانون 4 أوت 1789 القاضي بإلغاء امتيازات النبلاء *Abolition des privilèges* ثم قانون 26 أوت 1789 الذي صدر بموجبه البيان العالمي لحقوق الإنسان و المواطن *Declaration des Droits de l'Homme et du Citoyen*. و قد امتدت الإجراءات الفرنسية في هذا المجال إلى حد القوانين الدستورية للجمهورية الثالثة سنة 1875.

ففي هذا الإطار فإن الفكرة الأصولية للقانون التي تطوّرت وفقا للتموجين المذكورين وكذلك وفقا للاجتماعات التي بها التمسور الأمريكي هي تجسيد لفكرة السياسية التي انطلقت مع أرسطو بما يفيد الارتقاء و التنظيم

كلية الحقوق و العلوم السياسية بتونس. ملكات من ترس الاستاذ صلاح الدين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

العربي، وهي أيضا الفكرة هي التي استمدت المشروع السياسي في إطار الحداثة أي في إطار المجتمع الديمقراطي.

♦ إلا أن السياسة في نظام الحداثة الليبرالية وإن الترضت بالأساس نيل العنف الغير المنظم إلا إنها تتعامل في المقابل مع ظاهرة ديناميكية تحتم التحذية هي ظاهرة المنقضة السياسية *la compétition politique* في إطار القانون إذ لا يمكن أن يتأسس مجتمع ديمقراطي إلا في إطار صراع سياسي منظم وفي إطار قانوني محدد تتوزع بفضلها مصداقية المجتمع الديمقراطي.

♦ لكن هناك استثناء يقبل في حق التمرد المشروع *Droit à l'insoumission légitime* الذي انبثق من روح الثورة البريطانية و الذي ضمنته كبريت المراجع و المؤلف مثل بيان حقوق الإنسان و المؤلفين . والتمرد المشروع يعني أن صاحب السلطة إذا تقض التزاماته من خلال التكر للستور بما في ذلك العلاقة التبادلية مع الشعب أصبح التمرد حقا مشروعاً. لكن هذه المشروعية تفرض بدورها على "التمرد" أن يبقى في إطار ما يسمى بالإجراع التمردى. أي إن هذا التمرد لا يمكنه فتح الباب للنظام الطغياني بل هدفه الرجوع للقيم الديمقراطية. هذا ما جعلته مثلا نظرية ديف ثوروز في واجب العصيان المدني.

*David Thoreau : On the duty of Civil Disobedience*  
(1849, *Original title : Resistance to Civil Government*)

وهي نظرية في العصيان المدني استلهم منها المحامى Mahatma غاندي الزعيم الهندي فلسفته في مكافحة الاستعمار البريطاني عن طريق نيل العنف<sup>5</sup> . وفي سنة 1996 لوح بها أحد زعماء المعارضة المالوية في سر ايل أمام تنكر ناتتيا هو لمجاهدات أسلو لكن بقي التهديد نظريا . ثم أعلنت قيادات انتفاضة الأقصى تمردها للمشروع ضد تنكر إسرائيل للترعية التوتية وهو ما صرح به مروان البرغوثي القائد الفلسطيني بالضمقة العربية<sup>6</sup>

<sup>5</sup> أنظر لاحقا.

<sup>6</sup> جريدة *Le Monde* 26 أكتوبر 2000 ص 6



## 1.1.1. علوم السياسة

### 1.1.1.1. علم السياسة التقليدي

لم يدخل هذا العلم على البرامج التعليمية في العرب- إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. والجدير بالذكر أن علم السياسة هذا ظهر في بدايته على يد فقهاء القانون. أما الرغبة في إبعاده فقد كانت سياسية متصلة بمخالفات مزيمه فرنسا أمام ألمانيا في 1870 التي تزامنت مع الانتفاضة الشعبية في باريس la Commune de Paris وهو ما جعل السلطة تترك أهمية تحديد استراتيجيّة مزوجيّة: - تكوين نخبة للولة تمّ تدريبها على المبادئ السياسية الجمهورية للنظام الليبرالي، - تدريس النظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما يسمح بتطبيق الأزمات والإبقاء على الإجماع السياسي.

فأبحث بياريس معهد العلوم السياسية Institut d'Etudes Politiques للعرض و كان رجال السياسة أصحاب النظرة الإستراتيجية مثل Adolphe Thiers وراء مثل هذا الإنجاز.

في بادئ الأمر لم يكن علم السياسة يتمتع بالاستقلالية المنهجية الذي نعرفها اليوم، فالإنجازات كانت عفوية والاختصاصات العلمية كانت تتعلق بمجالات كلاسيكية. فأول اختصاص تمثل في تدريس القانون الدستوري ولم يتمّ تحديد المراد الأخرى إلا في الماضي القريب كعلم الاقتصاد والفلسفة السياسية وعلم الاجتماع والتاريخ وأخيرا الأثروبولوجيا السبستية ...

لكن مهما كان الأمر لأعلم السياسة التقليدي الفضل في استخدام المنهجية العلمية المتقدمة في العلوم الحديثة كالتحليل والملاحظة ثمّ التعميمات والنتائج. إذن فعلم السياسة التقليدي هو الذي فرض هذا السلوك العلمي. أما الهدف منه فكان يتصل في تحجّب الانطباعات والتحليل المزاجية التي تقتزن عادة بالقرار الشخصي المشوائي فتؤدي بالضرورة إلى الخطأ وهو ما يهتد عادة القرار السياسي خصوصا في امکاساته العسكرية التي تؤول عادة الهزيمة.

1. فالقرار السياسي الذي يعتمد المنهج العلمي (في النّول الغربية عادة) لا يكفي بهذا لحسب بل إنه يعيّن الضمانات التي تؤرقها المؤسسات السياسية والاجتماعية المرشحة للمناقشة رسمية كانت مثل اللجان البرلمانية أو مختلف المجالس الاستشارية أو غير رسمية مثل المنتديات واللوبيات. هذا فضلا عن اللقد الصحفي و خاصة الرأي العام.

لكن يتعين ذكر استثنائين:

- صنف من القرارات السياسية لم تعتمد فيها المنهجية العلمية لكنها تكون صائبية بحكم اتخاذها في إطار حتى لو كان تقليديا فإنه اعتمد مسالك استشارية. من ذلك قرار رئيس القبلة الذي احترم ما صدر عن أهل الرأي لديه. فالصمّ في كلّ الحالات هو عدم التفكير للشورى مهما كانت قوتها.

- و ينطج إلى هذا الصنف القرار السياسي الذي يضع نفسه في المسار التاريخي وهو ما يجعل نجاحه حتمية (حتى لو لم يستقل لإجراءات الاستشارة الديمقراطية) مثل حركة التحرر الوطني أو الانتفاضات الجماهيرية ضدّ الطغويان أو لاستعادة السيادة: مثلا تأميم قناة السويس سنة 1956 أو انتفاضة الشعب الفلسطيني الخ.

لكن يبقى القرار السياسي الذي يعتمد المنهج العلمي هو الأساس من حيث تحقيق الهدف المتوآب.

كما إنه يجب - في المقابل - التذكير بأنّ هذا القرار حتى لو استند للمنهج العلمي يبقى بالرغم من كلّ الإجراءات الرقائبة المذكورة عرضة للخطأ في بعض الحالات. مثلا سلوك الدول الإستعمارية قبل الاستقلال كان مستقرا فضلا لواقع بالرغم من وجود مؤسسات للمناقشة و التعبير عن الرأي المخالف مثل الأحزاب ، الصحافة، اللجان البرلمانية و سائر المعارب الأكاديمية و العلمية المسوّرة لدراس و تقييم القرار السياسي. من ذلك مثلا ما جعل فرنسا تتكبّد خسائر فلاحية في مزيمتها بالهند الصينية ( مزيمه ديوان بيان نو 1954 ). كذلك لم توقع المخبرات الأمريكية الاستعدادات الثورية للشعبة ضدّ حكم الشاه بيران ففوجئت بالثورة بقيادة آيات الله و ليس بقيادة القوى التقدمية التي ما فتئت تكافح للنظام. وكذلك الشأن بالقضية لإسرائيل في حرب أكتوبر 1973 لم تتوقع عبور الجيش المصري لقناة السويس بعد ما لحقه من انهيار إثر مزيمه يونيو - حزيران 1967

كلية الحقوق و العلوم السياسية بفرنس. منكرات من دروس الأستاذ صلاح الدين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

كذلك لم تتوقع إسرائيل مضاعفات الانتفاضة وهي - على ما يبدو الآن - ستتركز خطاها بدم التحليل الصحيح لمراتب الاستخفاف بمعاودة أسلحة سنة 1993 كتحجيبها التسمية لانفاضة الأقصى. و المتنب في ذلك أقرب للخطأ المرئي *erreur épistémologique* منه لعدم الامتثال للمساك الاستشارية، أي إن الخطأ يتبع من سوء التقدير *erreur d'appréciation* النظري أو الفلسفي/المخائلي لدى صاحب القرار. وهذا يميز للأوساط العلمية التي أحاطت بتوفير محطات القرار.

2. أما بالتسمية للقرار السياسي العنقودي فهو من سمات الأنظمة السياسية التي لا تعتمد النهج الديمقراطية أو على الأقل الاستشاري. مثل ذلك الأخطاء التي وقعت فيها الأنظمة الاستبدادية أو الكليانية (*totalitaires*) المعاصرة عندما يذهب غرور قائلها إلى حد الاستغناء عن الاستشارة أو أساليب مناقشة القرار كخطائي هتلر *Hitler* في ألمانيا النازية (1933-1945) وموسوليني *Mussolini* أيام النظام الفاشي في إيطاليا (1922-1943) وحتى الماضي القريب نظام *Milosevic* التي سقط أخيرا في يوغسلافيا. فمن الأخطاء الأساسية لهتلر : الهجوم على الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية بما في ذلك من سوء تقدير لطاقاته الإستراتيجية كافتراضه عدم صعود بريطانيا أمام العازات الجوية المكثفة، كمسوء تقديره سرعة الحلفاء في التصنيع الحربي، ثم استخفافه بالإبداعات الجماعية (*solution finale*) لليهود والفجر وغيرهما من الشعوب والأليات مما جعل الحلفاء يزيدون اقتناعا بالتمسك به.

كذلك موسوليني أخطأ في ثقته لإعادة بناء الإمبراطورية الرومانية على سواحل المتوسط وهو المشروع الذي سُمي "بحربنا" *Mare Nostrum* و قد توصلت نوعية هذا الخطأ في بلدان "العالم الثالث" ومنها العربية التي اختار البعض منها خطاب الزيادة والغرور فكانت الهزيمة الكبرى (الثكنة) في حرب 1967 أمام إسرائيل. فهل كان الزعيم عبد الناصر متحكما في كل المحطات العسكرية عندما أغلق (أقبل الحرب) البحر الأحمر في وجه الملاحة الإسرائيلية؟ هل كان يعلم إن المخبرات الإسرائيلية لديها من المعلومات ما سيمكثها من ضرب الطائرات الحربية المصرية وهي لم تفلح بعد؟ هل كان نصيبا في إرسال خيرة جيشه (التي حرم منها في حرب الأيام الستة) لمحاربة قناتل شمال اليمن بدون التحصل على أية نتيجة هناك؟ ثم ما عسى أن تقول بخصوص المعاناة من حرب الخليج الأولى بسبب سوء تقدير القيادة العراقية لاستعدادات الشعب الإيراني على الوحدة الوطنية أمام الهجوم الإسرائيلي. كذلك سوء تقدير مصالح العرب التقنية ورثة القمل العربي (1) عند احتلال الكويت التي أشعل حرب الخليج الثانية التي لازالت تسقط عواقبها الوخيمة على الشعب العراقي.

1.1.2. الفلسفة السياسية : *philosophie politique*

يمكن التعرف بها بالرجوع إلى منطلقاتها الوجودية. فالفلسفة السياسية تُعنى بالاعتبارات النظرية الميتافيزيقية لظاهرة السياسة وهي التولية ، الفرد ، الحرية ، القانون ، السلطة...

فهذه المائة العلمية ليست علما يتصل بعلم تطبيقية بل هي مؤسسة كما سلف ذكره على التحليل النظري. ومن رواد الفلسفة السياسية : أفلاطون، أرسطو، الفارابي، ماركس، ماكس فيبر *Max Weber*، (مع إن هذا الأخير يُعتبر من مؤسسي علم الاجتماع الحديث)؛ ثم هنا أرندت *Hanna Arendt* و جون رولس *John Rawls*. فالأهمية تقاس بمدى إسهام هذه الفلسفة في توفير النظريات التي تمكن بدورها وضع التصورات السياسية. انظر على سبيل المثال أعمال الفيلسوف السياسي المعاصر *Leo Strauss* في الموضوع.

(1) هذا وقد سبق تعزيز المراق من مبنية احتلال الكويت في بداية الستينات. مع إن التعخير مصدر انداك من زعم القومية العربية، الرتبين جمال عبد الناصر.

### 1.1.3. الأنثروبولوجيا السياسية anthropologie politique.

وفي أحدث فروع العلوم السياسية وأكثرها إشغاعا اليوم في أوساط الباحثون. لقد انطلقت منذ أربعينات القرن العشرين بمناسبة صدور كتاب النظم السياسية الإثريقية للباحث إيفنس بريشترد<sup>1</sup> . فهناك من يرى أن الأنثروبولوجية السياسية ولدت في مهد العلوم القانونية و الفلسفة السياسية انطلاقا من الحاجة لهم تطور المجتمعات و من أمتها التقليدية . و هناك من يرى أنها انبثقت من حصيلة التحليل والملاحظات الميدانية التي تزورت مع علم الأنثولوجيا المتعلق – في المطلق – بالشعوب البدائية. والأنثولوجيا في بدايتها كانت متأثرة بنظرة استعمارية تميز بين ما كانت تسميه بالمجتمعات المتحضرة ( أي الغربية) من جهة والشعوب البدائية من جهة أخرى .

ثم تطوّر علم الأنثولوجيا واكتشف أن هذه الشعوب المختلفة عن الغرب لديها من الرموز ما لا يقلّ شأنها عما هو الأمر في مجتمع الحدائق وهذه الصفة تكوّن علم الأنثولوجيا والقرن بعلم الأثروبولوجيا الذي يهتم بالإنسان في تطوّره باعتماد المقارنة والاهتمام بالمعطيات الدينامكية من انقصاد و مجتمع وعلم النفس وعلم التاريخ... ويمكن أن نقول اليوم أنه في ميدان العلوم الاجتماعية لا يمكن التوصل إلى نتائج مرضية بدون اعتماد علم الأنثروبولوجيا. مثلا دراسة الظواهر القانونية من وجهة نظر علم السياسة يقتضي الالتفات إلى المعطيات الاجتماعية، الاقتصادية، الإيديولوجية الخ...<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Evans Pritchard : Les systemes politiques africains .

<sup>2</sup> Voir Balandier (Georges) : Anthropologie politique, Paris, PUF, 1967

### 1.3. الفكر السياسي

#### 1.3.1. تقديم الفكر السياسي

يعتبر ابن منظور صاحب لسان العرب أن " الفكر هو إعمال الخاطر في الشيء والخاطر هو ما يخطر في القلب من تمييز أو أمر وهو الهاجس".

إطلاقاً من هذا التعريف نلاحظ أن الفكر السياسي هو مفهوم مركب، فالفكر أو الفكرة أو التفكير هو سلوك إنساني وكاد يكون تلقائياً ويرتقب عنه إنتاج عملية ذهنية متصلة بالملموس أفكار وردت في الميدان السياسي في الفكرة تمثل ظاهرة مجردة فيما إن الفكر السياسي هو حصيلة أو مجموع أفكار وردت في الميدان السياسي في عصر ما. فيقال مثلا الفكر السياسي في المصور القديمة أو في المصور الوسيط أو في المصور الحديثة.

والمهم هو أن استعمال كلمة فكر يدل عن موقف حيادي من طرف الأارس أو المحلل الذي يكفي بالتعامل العلمي أو الأكاديمي مع ظاهرة الفكر و لا يسمى إلى توظيفها للتأثير على الآخرين ملما هو الأمر بالنسبة لصاحب المذهب. نقول على سبيل المثل أن الممتزلة هي جمعية (فكرية) سمعت إلى تغليب المثل أو أن أفلاطون هو صاحب النظرة الطوبائية أو أن منتسكيو هو الذي طوّر مفهوم التفريق بين السلاط.

فالمحلال هنا يتقل الأفكار بأمانة علمية وإن أخطأ فلا تقترض فيه سوء النية. إلا إن كل ما سبق من اعتبارات في التعريف بالفكر السياسي ينتمي إلى ميدان التطريبات. أما في التطبيق فإن دارس الفكر السياسي غير معصوم من الانحياز تلك إته بالرفع من تعامله العلمي والمجرد يمكنه الوقوع في التأثير على الغير وذلك باختيار مواضيع دون الأخرى (تغيب صنف آخر من الاهتمامات) أو التركيز على بعض المسائل بما يزيد ما أهمية أو مصداقية. ومهما كان الأمر فإن مجال الفكر السياسي يعتمد حداً أدنى يتمثل في الأمانة العلمية (المفترضة).

#### 1.3.2. مقارنة اصطلاحية

بين الفكر السياسي من جهة والمذهب والإيديولوجية من جهة أخرى.

##### 1.3.2.1. المذهب

يقول ابن منظور أن المذهب هو المعتقد الذي يؤدّب فيه وذهب يعني هنا السير والمرور فيقال ذهب فلان مذهباً حسناً. ومن غريب الأمور أن ابن منظور في تعقده لعنى الأتخاب في الشيء يتوصل إلى الأذهب أي الممنن التقيس. فالأذهب هنا يعني الاعتقاد والاستسلام لظاهرة مبهورة. والمذهب السياسي مفمول مثل الأذهب. و في القرآن نجد للأذهب معنى يختلف في الظاهر لكنه يورثي إلى نفس الأبعاد. فهناك الأخاب بمعنى الحرمان من الشيء النفيس أو الأخاب بمعنى الزوال أو الفناء. كذلك السير نحو الشيء مع احتمال جزّ الأباح إذ يقول الله لإبليس " أذهب فمن تبتك منهم فإن جهنم جزأكم جزاء مؤمورا". والمذهب كمصدر للأخاب في الشيء يورثي إلى معنى أن فلان زعم أو أراد فرض فكرة معينة. إلا إبتنا نجد في الاصطلاح المعاصر للمذهب نزعين: الأولي ذات نفس ليريالي ديمقراطي فيما إن الثانية فهي تسمى من أجل تكريس مفهوم متحجّر تابع عن ذهنية الإقصاء.

#### أ. النزعة الأولى ذات النفس اللبيريالي الديمقراطي:

تعريف المذهب في هذا الإطار جاء عن الأستاذ Gaetan Piron الذي يعرف به ك " حكم على الواقع مشفوع بما يفرضه من مشاريع إصلاح".

للمذهب هنا صبغة دعائية تعليمية و حتى إصلاحية وهو مشتق من المصدر اللاتيني docere (يتطق dokéré) بمعنى التعليم و التقيد و جزّ الأباح. فيحكم الإطار الديمقراطي المقترض و سلطان القانون فإن صاحب المذهب يكون مضطراً للتساط و التواجد وفقاً لقواعد اللعبة التيموقراطية فيكون تحركه علفياً بحسبه القانون (مثلا قانون الجمعيات) الذي يسمح بوجوده المنظم و يمكنه من الامتيازات المتاحة للتوات المعنوية: جمع الأموال، حق التقاضي، العمل الاعالي....

ونشاط أصحاب المذهب هنا متمدد ومتنوع: المذاهب اللبيريالية، المذاهب البروتية، المذاهب الباطنية

وكلية الحقوق و العلوم السياسية بفرنس. متكررات من درس الأستاذ صلاح النفس بن عبده

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

على بعض المذاهب مثل قضية أصحاب l'Eglise de Scientologie التي أدينَت بابتزاز الأموال أو مذهب Le Temple Solaire المتهمة بإقامة الانتحار الجماعي (إن لم يكن حقيقة قتل) لأتباعها.

ب. النزعة الثانية الساعية لتكريس مفهوم متحجر نابع عن ذهنية الإقصاء:

تنقسم المذاهب هنا إلى قسمين: المذهب الذي تمارسه السلطة الحاكمة و المذهب المتواجد في الفضاء الجماهيري أو "المجتمعي".

□ المذهب الذي تمارسه السلطة: فهو عادة المذهب الذي يتسم به النظام السياسي الكلياني totalitaire الذي يسمى حسب معتقداته لفرض سلوك و تفكير مُعيّن على جميع أفراد المجتمع و إن حصل رفض أو حتى مجرد عدم انصياع فهو بمثابة التمرد أو الخيانة و في هذه الحال يُسلط العقاب. من الأمثلة المُعاصرة ، النظام الفاشي/النازي في إيطاليا 1922-1943 و ألمانيا 1933-1945 أو النظام الستاليني في الاتحاد السوفياتي بمختلف تصنيفاته (الصين أيام ماو تسي تونج، كوبا في عهد كسترو، النظام القومي للخمير الحمر Khmers Rouges بكمبوديا). ثم الأنظمة القومية العربية أو الأنظمة الإسلامية مثل إيران قبل حكومة الرئيس خاتمي أو إمارة أفغانستان في عهد الملا عمر و طالبان.

□ المذهب المتواجد في الفضاء الجماهيري أو "المجتمعي": و هنا أيضا يتعيّن التمييز بين فرعين: المذهب الذي يحظى برعاية مباشرة أو غير مباشرة من السلطة و المذهب المناهض للسلطة.

◆ المذهب الذي يحظى برعاية مباشرة أو غير مباشرة من السلطة:

يكون عادة أداة تحرك غير رسمية إذ رأت السلطة من الصالح بالنسبة لها توظيفه (ضد شخصيات أو أوساط سياسية معينة) لكن بدون أن تتبناه رسميًا تجلبًا للتورط أو للالتزام تجاه أصحابه إذ اقتصر هدفها على إرضاء هؤلاء بصفة محدودة.

من أصدق الأمثلة عن هذا هو - كما سبق نكره- ما حصل في السودان في سنة 1985 أيام حكم جعفر النميري الذي أطلق العنان للتيار الإسلامي بقيادة حسن الترابي فاغتم هذا الأخير الفرصة لاضطهاد مناقسيه المباشرين مثل حركة الإخوان الجمهوريين وهي حركة سياسية نابعة عن الإسلام الطريقي المتسامح و الرافض للتكفير. وقد سجل حزب الترابي نقطة هامة بحمل نظام النميري على إعدام قائد الإخوان الجمهوريين الشيخ محمود طه وهو في سنّ تناهز الثمانين.

هناك أيضا في نفس الإطار حالة أخرى نرى فيها تفعيل غير مباشر من طرف النظام الحاكم لموقف مذهبي معين تحت ستار التمسك بالمبادئ الوارد بشأنها إجماع و الحال إن المجتمع في شموليته قد تجاوز الأمر من زمان، مثلا في مصر قضية الأستاذ نصر حامد أبو زيد سنة 1995 حيث تسببت أوساط معروفة بانتمائها لحركة الإخوان المسلمين في رفع دعوى قضائية ضده وهو الأستاذ بالجامعة المصرية و المفكر المعروف. و الدعوى كانت تهدف لإبطال زواجه باعتبار أنه ملحد و إن زواج المسلمة من غير المسلم يُعدّ باطلا. و كانت الدعوى التي افترض فيها الإلحاد -ركائه أمر مسلم به! - قد أقيمت على أساس قانون الحسبة وهو مؤسسة قانونية فقهية مترامية الصلاحيات إذ تشمل مراقبة الأنشطة الاقتصادية كالأنشطة العامة عملا بمبدأ "الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر".

فالتّي يتعيّن إبرازه في هذه القضية هو الآتي:

- التسليم - كما سبق الإعلان عنه - بإلحاد الأستاذ نصر مما جعل الدعوى جائزة،

- اعتماد قانون الحسبة وهو قانون تجاوزته الأحداث بصدور القوانين الوضعية بمصر و من ضمنها مجلة الإجراءات الجزائية،

- "حياد" المشرع المصري الذي لم يُلغ صراحة قانون الحسبة بل اكتفى بمناسبة القضية بإصدار قانون جديد يحذ من مفعولها وهو في حقيقة الأمر إقرار بوجودها بما يكفي عل الأقل بعدم تدارك ما حصل لمواطن من ملاحقة قضائية ذات أهداف سياسية تمكن تيارا معينًا من تثبيت نظرتهم المذهبية بمساعدة موضوعية من السلطة.

### ◆ المذهب المناهض للسلطة:

يعتد روية شاملة للنظام السياسي و يسمى من أجل تكريسها من موقع المراجعة مع السلطة بالوجه عادة للعنف. وإذا اقتصرنا على عالما الربيع الإسلامي يمكن إيجاد أمثلة لهذا المصنف انطلاقا من الحوارح وصولا للجماعات الإسلامية المُعاصرة.

1.3.2.2 الإيديولوجيا

1.3.2.2.1 الإطار التاريخي لمفهوم الإيديولوجيا

ظهر هذا المفهوم مع تطوّر العلوم في القرن الثامن عشر . بالنسبة للمؤرخين فإن استعمال كلمة الإيديولوجيا بدأ إثر الثورة الفرنسية بالتصالح فلسفة التوير. فظهر الإيديولوجيا هو نتيجة لتطور علمي مناهض للفكر الديني، فهي من حيث المنهج استبدال اللاهوت بالنظرة العلمية للعالم. كما أنها تناهض على علاقة معرفية بين الفلسفة وتطور العلوم في القرن 18.

ومن رُؤى الإيديولوجيا الفرنسي Destutt de Tracy الذي يعتبر مبدع كلمة إيديولوجيا ليتر عنها كعلم كان يريد وضعه ليكون نظرية النظريات « la théorie des théories » و قد جاء عمل De Tracy كمواصلة لما قدمه في نفس المجال الفيلسوف و العالم Condillac وهو من مشاهير التويريين . و الفكرة لدى الاثنين تتمثل في ربط الصلة بين الفكر و الإحساس les sensations فيكون الرابطة علميًا مانيًا و ليس نبيئيًا أخلاقيًا. و قد انظم آخرون لهذا الاتجاه و أطلق على الجميع اسم "التويريون" les idéologues.

إنما الانعكاس لهذا الاتجاه فكان يقتل في جمل المنهج العلمي وكتفتح مجال الفكر و بالتالي يُزيع المنهج "الكلاسيكي" المؤسّس على ثنائية العلوم الدينية و العلوم اللاهوتية. فجاءت إذن الإيديولوجيا – في مفهومها ذلك – لتجاوز تلك الثنائية. إننا مضاعفاتها المنهجية فقد تطوّرت وفقا لمساكين اثنين:

- يتعلّم المسك الأول في توسيع دائرة العلوم ليجعلها شاملة للتطور الإنساني والاجتماعية وهو ما يبتد عن تطوّر تاريخي أصبح فيه الإنسان – و بالتحديد الفرد – هو المرجع المركزي لتطور المعرفة.
- قيل الثورة الفرنسية كانت الأمور في هذا المجال تدور حول المعتقد من جهة و العلوم الصحيحة من جهة أخرى.

حول المعتقد: وهو ما يبرز سيطرة اللاهوت و العلوم الدينية. إننا ظاهرة العلوم الصحيحة فقد كانت مرحلة حتمية في ثورة الحدأة لكنها غير حاسمة إذ إن الحسم أتى من التفاعل الجلي بين هذه النزعة العلمية و تطوّر الصراع السياسي منذ الاستعداد بحيث أفرز في نهاية المطاف تلاق حول الثمرة المشفوعة وهي الإنسان/الفرد.

هكذا نفهم ميلاد الاقتصاد السياسي و الجغرافية الإنسانية ثم ظهور برادر الإثنولوجيا و الأثروبولوجيا و علم الاجتماع...

- إننا المسك الثاني، فيتمثل في ربط مختلف العلوم بعضها لبعض. وهنا يكمن الوجه الثاني لما يسمى بالثورة الفايوسية للعلوم الحديثة التي تطرح أحداث منهجية متعمدة المواءمة pluridisciplinaire للممكن من مختلف العواهر و التمتع فيها تجنبا للسطحية التي قد لحيط بالمنهجية الأحادية. أي إن ظاهرة مُعيّنة قد تكون مبدئيًا من مجال التحليل القانوني لكن الاستعانة بالوات منهجية مأخوذة مثلا من الاقتصاد أو علم الاجتماع قد تسمح بالوصول لسوق التحليل و أصحق النتائج.

و بصفة عامة فإن هذا التعمش الذي فتح له الطريق مفهوم الإيديولوجيا يقم الدليل على المنزلة الرأئية التي وضع فيها الإنسان بعد الثورة الفرنسية وانتصار تيار الحدأة الفلسفية (أو السياسية) إذ أصبح المرجع المركزي و الهدف لكن هذه العلوم في أن واحد. و قد تطوّرت هذه النزعة إلى حد إشغال السلطة السياسية (و الأوساط المُحيطة بها بما فيها الراسماليون و الكنيسة – التي أعيد إليها الاعتبار بعد أن اعتقد الحساس الثوري ل1789 –) فسعت إلى التقليل من وقع الإيديولوجيا في مفهومها ذلك إذ إن التهديد صال يلاحق العقيدة المُحافظة le conservatisme التي أصبحت

كتابة الحقوق و العلوم السياسية بروس. مفكرات من درس الأستاذ صلاح الدين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، المئة الثانية حقوق

يدور ما ضرورية للحفاظ على مصطلح المفاهيم المهمة<sup>1</sup> . و من هناك برزت عقائدية جديدة سميت لتسوية مفهوم الإيديولوجيا و إكسابه دلالة تحقيرية péjorative و كأنها تنظر عقيم بعيد عن "الواقع" الذي كان يعني في الحقيقة الواقع المفروض.

أما اليوم فقد أصبحت الإيديولوجيا تميز عن ظاهرة تكاد تكون مختلفة إذ إنها تشمل أسلما يتصور العالم. تحديداً، سنرى كيف سيستفيد الفكر البروجوازي/الليبرالي مفهوم الإيديولوجيا بعد أن اكتسبه الماركسية بدءاً فلسفياً تضاملياً.

### 1.3.2.2. المعنى المعاصر للإيديولوجيا

هناك تعريفات متعددة للإيديولوجيا. مبدئياً يمكن الاكتفاء بالتعريفات المبسطة مثل التعريف الذي أورده الأستاذ Lalande الذي يعتبر الإيديولوجيا "علمًا يتعلق موضوعه بدراسة الأفكار وفوائدها وأصولها"<sup>2</sup> . لكن يقابل هذه البساطة أو التجرد في التعريف صنف آخر من التعريفات يجعل من الإيديولوجيا تصورًا نسبيًا ذاتيًا أو نظرة شمولية. إلا أن تعريف الإيديولوجيا اختلفت فيه بعض المدارس الفكرية تذكر منها المدارس السوسيولوجية النقدية بصفة عامة. وأهم مدرسة اعتلت بمفهوم الإيديولوجيا هي المدرسة الماركسية.

#### ◆ التعريف الماركسي للإيديولوجيا

المدرسة الماركسية : كارل ماركس Karl Marx ورفيقه انجلس Engels تم التزعم لينين Lénine، كذلك ترو츠키 Trotsky، ستالين Staline ، فرامشي Gramsci (الإيطالي)، ماوتسي تونج Mao Tse Tung، تم الفرنسي Louis Althusser.

أول تعريف للإيديولوجيا ظهر في كتاب: الإيديولوجيا الألمانية " *L'idéologie Allemande* " (1845). وهو تعريف لمؤلفيه ماركس وأنجلز ويتم الإيديولوجيا كـ" إنتاج لأفكار والتصورات تتخلق من حياة الإنسان ونشاطه الإنتاجي . لكن الإيديولوجيا هي بمثابة آلة التصوير القيمة camera obscura تكس الواقع لا في حقيقته بل رأسا على عقب. فالإيديولوجيا تكاد تكون ترجمة معكوسة للواقع وكانها حسيطة أفكار مغلوطة.

يقول ماركس وأنجلز – على سبيل المثال – أن الأجير يعتقد أن أجره هو ثمن كدّه، لكن الحقيقة هي خلاف ذلك لأن أجره يمثل قيمة العمل الذي آتاه بعد أن يُخفف منه فائض القيمة plus value التي يستلها منه مؤجره بعنوان امتلاكه لوسائل الإنتاج. وفي نفس الوقت يتراءى لأرباب الرأسمالية أن الرزح يمثل الأجر أو الثمن الطبيعي لرأس المال الناجية الإيديولوجية كلاهما في تصور مغلوط للحقيقة وهذه هي وظيفة الإيديولوجيا بالنسبة لماركس وأنجلس.

فمن الناحية الإيديولوجية كلاهما في تصور مغلوط للحقيقة وهذه هي وظيفة الإيديولوجيا بالنسبة لماركس وأنجلس. وبالتالي فإن هذين الأخيرين انتقاد الإيديولوجيا مع إبراز وظيفة الهيمنة التي تحصلها في طبيعتها ثم انتقاد أيضا الاقتصاد السياسي 'économie politique' كتمبير عن الإيديولوجيا و عن قدرتها على مُخادعة الجماهير .

أما " لوئين" فقد عرّف الإيديولوجيا (في كتابه " ما العمل؟ " *Que Faire ?* 1902) " كنظام وأفكار ونظريات يستعملها المناهضون السياسيون لحسم صراخ الطبقات".

وبصفة عامة نقول أن التعريف الماركسي للإيديولوجيا ( على طول امتداده وصولا لأعمال الفيلسوف Louis Althusser ) يعتبرها سلاحا فكريًا وتصورًا للعالم من منطلق مصطلح طبقية معينة.

1 لقد أمت الثورة الفرنسية في بدايتها (1789 و السنوات المرورية) كل مظاهر المجتمع التقليدي المنمو عن هيمنة الملكية الاستبدادية ومصالح الإقطاع. لكن بعد إرساء أسس الثورة البرجوازية الحقيقية (مع الإمبراطور Napoleon Premier بالأساس) رجعت الأمور إلى التيار المحافظ لكن هذه المرة تتسبب عن مصالح البرجوازية ضد الطبقات الكادحة – حلقة الأوسم أيام الفلاح الثورة. و لضمان هذه المصالح الجيدة وصل الأمر إلى حد إعادة الإعمار للكتيسة (انظر الأدب الفرنسي في القرن 19، Stendhal نموذجنا في رواية «Le rouge et le noir» . فتنيز المشهد الإيديولوجي في أوروبا الغربية عموما و تتقل الأب الفرنسي في تصوير حالة الكادحين و المذاب التي لحقهم بسبب تطور الرأسمالية و في التعبير عن ذلك هناك روايات جادة مثل ما كتبه Emile Zola بفرنسا أو Charles Dickens بريطانيا. إلا أن تراجع التيار المحافظ كانت له حدود إذ بقيت الغلبة للجداعة وهو ما يفترض انتمصار الممانيّة في أكر المطالب (مثلا فرنسا في بداية القرن ال20).

### ◆ التعريف الكبير الي

— المدرسة السوسيولوجية التقليدية : وروادها باريتو Pareto ، دوركايم Durkheim وماكس فيبر Max Weber . و قد تحفظت هذه المدرسة على استعمال مصطلح الإيديولوجيا (إما عدا بعض إشرارات لباريتو) والسبب في ذلك اعتبار أن كلمة الإيديولوجيا هي نتاج فكري عر كسي .  
 — أما المدرسة السوسيولوجية المعاصرة فنجد منها تعريفات لآمتها شخصيات مثل Goldman ، Raymond Aron وآخرين....  
 في تعريفه للإيديولوجيا يطلق Raymond Aron من كتب *L'Éthique à Nicomaque* الذي يعتبر فيه الفيلسوف اليوناني أن هناك مجال للعلم ومجال آخر للأخلاق. فعجال العلم هو مجال موضوعي لا جدال فيه بينما مجال الأخلاق هو مجال تقريبي ذاتي متصل بقنرة الإنسان وهي محدودة. فبالنسبة لـ Aron، الإيديولوجيا هي مزيج بين الإثنين : فيها جانب من الصحة وجانب من اللغظ إذ ينكر بأنه لا يمكن إثبات الخطأ من الحقيقة. ومن ذلك التصنيف الذي وضعه Karl Mannheim الذي يبين أن الإيديولوجيا بعد نسي أو خصوصي لا يمكنه التعبير عن حقيقة مطلقة لا جدال فيها.  
 هناك أيضا تصنيف Goldman الذي يميز بين الرؤية الجزئية *partielle* فهي إيديولوجيا على مستوى الشخص وصنفا آخر يتمثل في النظرية الشمولية للعلم *weltanschauung* وهي الإيديولوجيا على المستوى الجماعي التي تستند لتطور تاريخي معين فتصبح هذه الإيديولوجيا الجماعية نظاما مشجعا يشتمل على تصورات و أفكار وقيم أخلاقية تنبني على أساسها ذهنيات.  
 المهة في هذا التصنيف الكبير الي (الصنادر عن المدرسة السوسيولوجية المعاصرة) هو أنه من الناحية العملية لا ينفس في العلاقات الراسخة باعتبار أن هناك دائما مجال للصحة ويقابله مجال للخطأ. فلا سبيل لتكذيب (أو تكفير) الغير، وهذا بفضل الاتزام بالشك وهو التراء ضد التطرف و التفكير الإصمائي.



## 2. مبحثٌ تمهيدي: الفكر في الحضارات القديمة

نستعرض هنا المبادئ والقيم التي جادت بها الحضارات القديمة والتي ساهمت في بناء صرح الفكر العالمي المعاصر، والعتبات التي سيتم تقييمها تتعلق بما نتخض عن هذه الحضارات في القرن العشرين قبل الميلاد وذلك بحلول فترة سلم نسبية عقيبت عصر حروب ودمار (القرني الثامن والسابع ق.م).

### 2.1. الهند والتيه بوذا Boudha

ظهرت بوادة بوذا ( *Éveil*؛ اليقظة، الحيز) بالهند في فترة مزدهرة مهت لها - منذ القرن السابع ق.م - محضارة أساطير الـ *Upanishads* والأينيد التنبئية *Veda* وهي ما يشبه الأصول من فكرة العنف إلى فتح ألقى المنهج الروحاني، ثم إن هذا الاتجاه - الذي عمّ على سائر الحضارات في ذلك العصر - يمدّ في الهند مراملة لملمة *Mahabarata* خصوصاً في جزئها المشهور *Bhagavad Gita* أين يلقى البطل *Arjuna* بسلاحه مضتلاً اللجوء إلى الحكمة.

إنما التي بوذا فقد ولد في شمال الهند في 560 ق.م تقريباً<sup>1</sup> وعاد مملكة أبيه ليسوش مع القراء في تجرد تام. فقد طوّز فكره وركّزه على نبذ العنف والإمتعانة بالحكمة كصلاح فكري وذلك كبدل عن العنف والنظم. فالبوذية هي نظرة فلسفية للمالم أكثر منها دنيوية، تُمارس أيضاً الرجوع إلى الذات و عمق التفكير كما أنها تبتدئ البدائل المطلقة *les alternatives absolues* وبهذه الصفة تنادي لطريق الوسط. فلا مجال للتقلب من عالم اللذات إلى عالم التفتت المولم إن هناك حلّ وسط كما ن في سلسلة من الأعمال أو الحالات التي ينتقل فيها الفرد بحرية بين محطات التجرد *le détachement de soi*.

انعكسات هذا الفكر في عصرنا:

بعض النظر عن الانتعاش العقائدي، حيث أنّ شبه القارة الهندية تاولي الهندوسية كديانة مركزية قد كان لمثل هذه الحكمة التابعة عن البوذية والأساطير المحيطة بها بالغ التأثير على الثقافة الهندية بصفة عامة وهو ما سترجمه الشخصيات الفكرية والسياسية المعاصرة نذكر منها: (في الهند طبعاً)

- ◆ **Targore (1861 — 1941)** الشاعر والأديب الروائي الوطني المتصوّف الذي اشتهر بحثّ المرء على تجاوز شعوره الخاص -مثلاً الحزن بسبب موت أحد الأقرباء- ليلوِّح شعور أرقى و أعمّ هو حبّ الإنسانية. فكان يقول: "عندما أنظر حولي أشاهد الحضارات المتنامخة التي انهارت كخطام تافه. لكّني مع ذلك لم أرق في خطيبة قدان القّة في الإنسان و سوف أوجه دوماً نظري إلى عهد متفائل و متجدّد".
- ◆ **تح الرعيم غاندي Mahatma Gandhi (1869 — 1948)** الذي قاد الهند إلى الاستقلال عن بريطانيا العظمى والتي تمكن بفضل هذا الفكر من التوفيق بين صنفين متناقضين في الظاهر، هما احترام التقاليد من جهة واعتناق الحداثة السياسية من جهة أخرى، هذا فضلاً عن فلسفة اللاعنّف (نظرية الأهمسا *Ahimsa*) وأداتها الركبوسية: العصيان المدني<sup>2</sup>الذي وضع له غاندي مفهوم قوة الحقيقة *Satyagraha* وهي تتمثل في قبول الاضطرهاد من طرف السنوّ إبراز حقيقته أمام الجميع، ثمّ مواصلة لهذا النوع من التفكير كان "المهاتما" ينشر فكرة الفكر *Thumilite* الذي يحترز الإنسان من الشهوات الحيوانية إذ يجعله قريباً من الطيبة.

إنما الغرب فاقه في مرحلة أولى - وهي مرحلة طغيان الفكر الاستعماري و الترقّع على الحضارات الأخرى - لم يتفطن لقيمة البوذية و للثقافة الهندية. فعندما أراد المورخ الفرنسي Ernest Renan نشر مقال عن البوذية في 1851 رفض له ذلك بقلة أنّ هذه البوذية هي في مثنى الحقاقة. لكن اليوم تفلن الفكر الغربي لقيمة البوذية و هناك من الفلاسفة أو مؤرخي الفكر من نادى بمزيد الاهتمام بهذا الفكر بغاية ظاهرة هي توسيع آفاق الفكر

<sup>1</sup> تقول الأسطورة أنّ والده توليت بعد أسبوع من ولادته بسبب السعادة التي عمرتها.

<sup>2</sup> انظر سابقاً David Thoreau

العالمي، و غاية غير مُعلن عنها وربما غير واعية تهدف تطعيم الفكر الغربي المتأزم بالروحانيات الضرورية لتطويره. انظر في هذه المسألة:

Roger Pol Droit : L'oubli de l'Inde

## 2.2. بلاد فارس و زردشت Zarathoustra.

الزردشتية أو ديانة زردشت ظهرت في بلاد فارس ما قبل الميلاد<sup>3</sup> ثم مرورا بالمرحلة التي تهيأها (القرن السادس قبل الميلاد) واصلت انتشارها إلى ما قبل الإسلام<sup>4</sup>. وهي ديانة أمورا مزدا Ahura Mazda (بالفرنسية Mazdeisme) . و Zarathoustra هذا اشتهر بتطوير فلسفة أو فكر يمتد عن صراع ثنائية الخير (Ormuz) و الشر (Ahriman). وأمتاز هذا الفكر بتغليب الأخلاق على العنف وأصبحت الزردشتية ديانة رسمية في بلاد فارس كما أنها تمكنت من التواجد بالرغم من الإسلام و ذلك لدى بعض الأديان التي قامت بتطويرها إلى ديانة سماوية مثل طائفة الصابئة Sabéens التي نكرها القرآن: "إن الذين آمنوا والذين هانوا والقتلى والضعفاء والمصابين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"<sup>5</sup>.

التأثير على الفكر الإسلامي:

لقد أثرت هذه الفلسفة على بعض المفكرين المسلمين نذكر منهم :

♦ "الفرودوسي" Ferdôsi ( أبو القاسم منصور ابن حسن 940 - 1020 م) شاعر و فيلسوف فارسي من اكبر شعراء الملحة وهو واضع كتاب "الغناء نامة" كتاب الملوك Le Livre des Rois الذي يطم 60000 بيت، يتتدى بنكر مسألة خلق الكون الفلاسفة القدامى Les Présocratiques<sup>6</sup> . ثم تذكر "الغناء نامة" من بعد ذلك عهد ملوك و بالتحديد ما جاء به الفلاسفة القدامى la creation de l'univers وهو موضوع اشتهر به الفكر اليوناني القديم والفرس الذين بشروا الخير على البشرية و الذين كانوا الفيتانيين و رموز الشر الذين اكتسحوا العالم. أفكار الفرودوسي تطغى عليها نزعة الحقيقة الفطلة الثرية من التراث اليوناني. فالإنسان في مواجهة مستمرة مع مصيره و بالتالي فإن فلسفة الفرودوسي أخلاقية تشير إلى ضرورة العمل و فعل الخير، فيفضلهما يحتفظ الإنسان بملكة العقل باعتبار إن هذا الأخير هو الذي يفرده في عمله وهو الامتياز الوحيد و العوق الحقيقي على المخلفات الأخرى.

ومن الأفكار القيم الأخرى الواردة في "الغناء نامة" -إتارة السلوك النبيلة - المجد و الوطنية - المطف على الضعفاء و المهزومين - التسامح اللذي ...

♦ ولبه "المشهوروردي Sohrwardi شهاب الدين يحيى 1154 - 1191 المعروف ب"التبج المقول" ؛ فيلسوف و رجل علم فارسي (هو الآخر) اشتهر بكتب في التصوف منها كتاب "المقامات الصوفية". مؤسس لمدرسة فلسفية مستقلة عن الفلسفة الأرسطية تسمى فلسفة الإشراق philosophie de l'illumination. ويست أيضا بشيخ الإشراق. كتابه المشهور هو "حكمة الإشراف" وهو محاولة للرجوع للحكمة الفارسية والتوفيق مع التصوف الإسلامي، و كرتة فعل على هذا المد الروحاني، منه الفقهاء لكثير "المشهوردي تقرر صلاح الدين الأيوبي إعدامه وهو ما حصل في مدينة حلب و قد تبين في الحقيقة إن إعدامه كان لأسباب سياسية إذ أنه سعى لتقريب بعض الأمراء السلاجقة (الترك) و حتى ابن صلاح الدين نفسه وهو أمير حلب الظاهر غازي

أما عن التعاسات هذا الفكر في الغرب الحديث فقد أثرت الزردشتية على أمثال الأيب الألماني Goethe ، و الإنجليزي Shelley، فالفرنسي Victor Hugo ثم الفيلسوف الألماني نيتشة Nietzsche.

<sup>3</sup> منذ قرابة 1000 سنة قبل الميلاد، ظهر زارشت (الذي يطلق الجمال المستنق) (

<sup>4</sup> أي في عهد "الساسانيين" من القرن الثالث الى القرن السابع ميلادي الذي بدأ فيه عصر التبج الإسلامي

<sup>5</sup> البقرة 62 . كذلك المادة 69

<sup>6</sup> انظر لاحقاً.

## 2.3 : الصين وفلسفة Kongzi<sup>7</sup> (551 ق م - 479 ق م)

يمثل Confucius الفيلسوف الرمز في الصين قد ولد في 551 ق م من أسرة فقيرة لكنها عريقة. اهتم بإصلاح النظام السياسي، فكان تعليمه الفلمي يهدف إلى إعلاء هيكلكه وبقا لأحكام علمية منطوقة. كما يعد هذا الفيلسوف مرجعا من مراجع الحكمة والتبصر في الأمور كبديل عن العنف مع الاستمارة بسطان الفكر. ويمكن فهم فلسفة Confucius بالانطلاق أساسا من إطارها التاريخي المتمثل في الانهيار الأخلاقي و الاجتماعي و السياسي الذي ظهر في الصين منذ القرن الثامن ق م بسبب تمرّد الإقطاعيين. فإمام صمودية تربية أفكاره الإصلاحية عبر الممل السياسي فضلت الفيلسوف نشرها من خلال دروسه التي عُرفت ب"المحاضرات" Entretiens. فكان مشروع الفيلسوف يهدف للرجوع لسلطة الملوك-الحكامه كما ينلدي هذا الفكر للاحتلال الشعائري، لطريق rituel تمر الكون من مركزه وهو ما يرمز إلى تحاطي الرسمية في كلّ الأمور.

وقد أثرت هذه الفلسفة على حضارة الصين لكن رفضها الفكر الشيوعي في عهد الثورة الثقافية التي دمجها الزعيم ماو تسي تونغ<sup>8</sup> باعتبارها فلسفة توفيقية رجعية منافية للفكر الجلي المؤسس على نظامن الاضداد. وقد شئت حملة عنيفة على منافسي ماو تسي تونغ في السنوات الأخيرة من حكمه بتهمة الاعتناق بفكر Confucius و ترويجه بهدف تسميع الفكر الشيوعي و إتلاف المكاسب الاشتراكية. إلا أنه بعد موت ماو<sup>9</sup> شرعت الصين في الرجوع إلى الأفكار التقليدية التابعة من فكر Confucius مع الإبقاء على الفكر السياسي الشيوعي و هو منهج الرئيس تانغ هسيانغ بينق Deng Hsiao Ping. واليوم تمارس الصين نظاما سياسيا وقتصاديا غربيا في توازنه إذ أنه حقق التوفيق بين الاقتصاد السوق والمبادرة الخاصة من جهة والهيكلية الإدارية و السياسية للنظام الاشتراكي التسلسلي من جهة أخرى، ونذكر إن البنك العالمي أقر أنه بالتوفيق بين هذين المبدأين المتناقضين تميزت اليوم قوة الصين الاقتصادية ومكنتها من الاستقرار. أضف إلى ذلك - ودائما في نفس المعنى - التعمار الصيني الذي ظهر مع ضمّ المستعمرة البريطانية Hong Kong سنة 1997 : نظامان لبلاد واحدة "un pays deux systemes" أي النظام الشيوعي في جمهورية الصين الشعبية و النظام الرأسمالي في Hong Kong بالنسبة للصين القارية.

## 2.4 : حكماء بني إسرائيل

تمّ في سنة 587 ق م احتلال القدس من طرف مملكة بابل ووقع أسر أعليّة اليهود فتعلقت أصوات أنبياء بني إسرائيل. وأهم النداءات صدرت عن النبيين إسماء Ezraie وحزقياح Ezechiel اللذان أصدرتا نداء ضمّد العليويان والتسلط وذلك لإعلاء كلمة الحق عبر الديانات المعالوية. وبشكل هذا النداء تغييرا عن فكر مسالم نابع من روح المسار الإبراهيمي و رسالة التوحيد. إذ إن رسالة إسماء - على سبيل المثال - تقادي إلى تثبيت الطابع السماوي الوجداني للنبي: (XLIV-V). Voir le Deutéro-Esaie (Esaie). فكان إسماء يسخر من الأوثان و يؤكد على إن التوحيد هو الطريق دون سواء لفهم الواقع.

إلا أن هذا المذ الروحاني الكوني تقتص و تهتمّ مع طغيان الفقه التلمودي Talmud الذي تطوّرت بعض نزعاته نحو الفكر الصهيوني وانكسارته العروانية التي يماني منها الشعب الفلسطيني منذ نكبة 1948.

## 2.5 : النور الممتدّد لليونان القديمة.

بالرغم من مساهمة جميع هذه الحضارات ( وغيرها ) كيف تكفّت اليونان في نفس الفترة التاريخية من الانفراد في تمثيل المرجعية الأساسية للحدثة الفلسفية و السياسية أي أن تساهم بفكر أصبح اليوم يمثل

<sup>7</sup> المعروف في الغرب باسم Confucius

<sup>8</sup> كناية المحروق و العلوم السياسية بتونس. منكرات من دروس الأستاذ صلاح الدين بن عبيد تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

الإطار الأسطوري للحداثة و للتفكر العالمي؟ في هذا المستوى سنهيتم بمحورين امتازت بهما حضارة اليونان في ذلك العصر : المحور أول يقتل في الانتقال من الأسطورة إلى العقل فيما يحل المحور الثاني ظاهرة الخروج من للعالم المنطق إلى الكون اللاعقلاني.

(1) من الأمطورة إلى العقل :

تمتيز الفترة التارخيية المعتدة من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن 6 ق.م فترة تأسيسية مهدت لظهور ميزة العقل ولكن عبر مرحلة انتقالية تمثلت في الخروج من الفكر المقدس *la pensée sacrée* إلى ما يسمى بالفكر المحس *la pensée profane* وذلك عندما تمكن الفكر الأمطوري اليوناني من الانسجام بالآليات العقلانية. ففي اليونان القديمة ومنذ البداية كانت مختلف مظاهر المعرفة ترجع للمرجع الأسطوري *le mythe* على أساس التلاقي بين الآله و المعرفة حتى إن كلمة سوفيا *sophia* وهي المعرفة كانت تُعتبر عن الهمنة على الآتات أو على الآخرين و كان المعرفة هي من مصدر إلهي وبالتالي أجه إتخاذها من الآله كمن يتفك الأسرار. و الصورة الأولى لهذا الإفتكالك للمعرفة تمثل في الميرد الفثوري، التثاعر يقتنى بأساطير ذات المحتوى المعرفي بالهام من ربّات الفن *les muses* ومن بيات الآلهة مثل *Zeus*. و هنا نجد نمط هوميروس *Homère* التثاعر الأسطوري المشهور في الميرد الفثوري (ربما القرن الثامن ق م ، صاحب الإلياذة *l'Illiade* و الأوديسة *l'Odyssée*!) فكان التثاعر الملحمي أو الأسطوري يطلب منهنّ (أي ربّات الفن) الإطلاع على أسرار الماضي وهي معرفة مصنّاة للجهل، حتى إن التثاعر *Hésiode* (من كبار شعراء التاريخ الأسطوري في اليونان القديمة - القرن السابع ق م تقريباً) كان يعتبر ربّات الفن كضمانات للمميز بين الحقيقة و الباطل. و بهذه الصفة تراكم الميرد الأسطوري كقاعدة أو ذاكرة للمعرفة في اليونان القديمة وإلى حدّ نهاية القرن السابع ق.م كان الفكر الديني اليوناني - كماطار للمعرفة في ذلك العصر - يتخذ ثوب الأساطير. إلا إن هذا القمصن كان - من منطلقه - حاملاً لظاهرة غريبة وطريقة في أن واحد تتحور حول الصراع بين الآلهة الذي سرعان ما تحول تدريجياً إلى صراع بين الآلهة والإنسان وهو ما كان يفسر - في خصوصية الأسطورة اليونانية - محدودية المقدس أي الإمكانيّة المتاحة للإنسان للانتصار على الآلهة بفضل حيل مختلفة منها التحاللات ضدّ إله أو إله مع إله أو آلهة آخرين حتى أصبح الصراع واضحا بين الإنسان و الآله. هذه الحيل التي مكنت الإنسان من الانتصارات كانت في ظاهرها أسطورية لكنها تمثل في الحقيقة اللجوء إلى آليات عقلانية وهو ما يؤكد الانتقال من الأسطورة إلى العقل. لقدثرت الأسطورة في مفهومها المسرحي ألبحت لتوظف من أجل التعبير عن التمسار الإنسان، وبذلك ستكون للأسطورة وظيفة جديدة في الفكر الحديث وهي الاعتبار بقيم سياسية وأخلاقية.

مثلاً: أسطورة بروميثيوس *Prométhée* التي تعرض إقدام الإنسان على التعامل اللذي مع قوى ثقوفه عادة وهي الآلهة<sup>8</sup> تمهّد - في المخيال الغربي - لأسطورة *Faust* الألمانية التي ظهرت في القرن الثامن عشر<sup>9</sup> وتمثل منذ تلك الفترة الأسطورة المؤسّسة *le mythe fondateur* للعقل و الإنتاج في المجتمع المسيحي الإحليلي *protestant* وهو أرقى المجتمعات الرأسمالية الغربية<sup>10</sup>.

ب) الخروج " من العالم المنطق إلى الكون اللاعقلاني "

تأتي هنا مساهمة مجموعة من الفلاسفة اليونانيين اكتشفوا الأبعاد الكونية وبالتالي حرّروا الفلاسفة من كابوس العالم المنطق أي المقدّس كاحسن تعبير. هؤلاء هم الفلاسفي أو *Présocratiques* تعود تسميتهم هذه إلى أنهم عاشوا قبل سقراط (469-399) أو تزامناً معه لكنهم لم يتوصلوا إلى تساوياته الفلسفية. ميزتهم تتمثل في إهم إبرازوا بصفة تدريجية أن المصطلحات العلمية و الفلاسفية لمثل ميلادين دراسة مُستقلة عن الميادين الأخرى و خصوصاً العلوم الطبيعية و المقدّس بصفة عامة. فساهم هؤلاء في بداية التفسير العقلاني للعالم بعد أن كان دينياً وأسطورياً بحتاً. قائلوا أن العالم يخضع لقوانين وتفاعلات طبيعية وليس لمظاهر سحرية أشهرهم:

<sup>8</sup> *Prométhée* الذي تخدّى الآلهة فسرق النار إلهة *Zeus* و سلمها للنشر.

<sup>9</sup> *Faust* هذا عقد صفقة مع الشيطان *Méphistophéles* : الأول يشتري الطرد من الثاني و في المقابل يبيع الأول ضميره الثاني. و عندما ندّم الأول اصطلح للكد التوصل (وليس بالتعب كالعادم) للتكيف عن خطيته *poché originel* واسترجاع ضميره.

<sup>10</sup> انظر في الموضوع *l'Esprit du capitalisme et l'esprit du protestantisme* Max Weber: كيفية العقوق و العلوم الطبيعية يتوس. محررات من ترنس الأستاذ صلاح الكين بن عبيد تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

- فيثاغورس Pythagore هو عالم وفيلسوف روحاني ورجل دين يوناني، عاش في القرن 06 ق.م (580 - 500 ق.م). لم يترك مؤلفات لكن ترك أثرا تفكيرية وفلسفية هامة تدور بالأساس حول الرياضيات وقد أصبح شخصية أسطورية. اهتم بالروحانيات وتمزج على الحكمة الشرقية بما فيها الحكمة الفارسية ثم الحكمة الهندية لكنه اكتب بالأساس على علم الفلك واستطاع إيجاد تفسير للكون باستعمال الرياضيات. بقي هذا الباب وضع لوراثين القسمة أو الانشقاق التي تمتد على الامتثالي *l'infini* تقام بإدخال هذه الظاهرة في الحساب المادي.
- هيراقليطس Héraclite d'Éphèse (540 - 480 ق.م) هذا الفيلسوف اتصل هو الآخر بعلماء مصر الفرعونية وفارس واليونان. يعتبر من العلماء الذين وضعوا علم الجدلية *la dialectique* وبالتحديد التناقض كمحرك للأفكار والأشياء. يرى "هيراقليطس" أن العالم يمثل وحدة متكورة من توازن بين قوتين متناقضتين.

لما هو الرصيد على هذا الممتوي؟

لا شك في أن ظاهري الامتثالي والجدلية هما العنصران المكونان للحدثان في بعدها الفلسفي أو الفكري كبعدهما التكنولوجي أو التقني، والحدثان في ما يسمى بالجديد الاتي بما لا نهاية له وحضارة الحدثان منذ قومه— بداية من القرن 16 Les Temps Modernes مؤسمة على ظاهرة الامتثالي إذ تتمثل في الإبداع بما لا حدود له، بينما لم يتوقف تيار الإبداع الفكري والسياسي كالتكنولوجيا.

في كتاب الفيلسوف الروسي المعاصر Alexandre Koyré : « *Du monde clos à l'univers infini* » : "كوبيرنيك" تحليل لأهم الاكتشافات العلمية التي حصلت في الغرب منذ بداية القرن 16 فهو يتحدث عن "كوبيرنيك" Copernic البولوني، وقاليلي Galilée الإيطالي حول مسألة دوران الأرض وتوطين Newton البريطاني الذي اكتشف الجاذبية. ورمزية هذه الاكتشافات هي الحركة وبالتحديد حرية الحركة إلى ما لا نهاية له. لكن هذا التطور لم يحصل في مجتمعات أخرى (الحضارات الشرقية) وقد نتج عن ذلك الجمود الفكري والسياسي؛ مثلا في العالم الإسلامي، غلق باب الاجتهاد وكريس مقولة "كل جديد بدعة" التي ولع استعملها من يطرحها التاريخي.

ذلك إن فلسفة الاجتهاد في الإسلام - مقارنة لما عرفه الغرب على ضوء ظاهرة الحدثان بمختلف أبعادها الفكرية والسياسية - كانت تسمح بمواصلة الإبداع باعتبار أن الاجتهاد يمثل حركة ذهنية لا نهاية لها (أبو حامد النزالي في المستصفى).

إنما الجدلية فيتميزان رصدها في التفاعل التقني الذي يمكن المجتمعات من التقدم.

- في العلوم هي التي مكنت من اختراع المحرك البخاري انطلاقا من أن الحركة هي نتيجة تفاعل بين قوتين متضادتين (القرن 18 في الغرب).

- في ما يتعلق بالجدلية في الفكر السياسي أي التفاعل التقني بين الأفكار في الغرب (ونجدها عند هوبل ثم كارل ماركس) فقد نتج عنها المسار نحو الثورة الديمقراطية إذ إن الصراع -الذي انطلق منذ نهاية العصر الوسيط بين القوى الاجتماعية (بورجوازية، إقطاع، طبقة شغيلة...) - قد تجسّم في أيام الحرية و الفكر الحر.

### 3. دولة المدينة

#### 3.1. الفضاء السياسي

##### 3.1.1. الإطار العمراني

##### 3.1.1.1. التنظيم السياسي لدولة المدينة

##### 3.1.1.1.1. الفكرة التأسيسية

يقول أرسطو في كتاب "السياسة" إن دولة المدينة polis تمثل - في شموليتها - وحدة تنظيمية منسجمة هدفها تحقيق "حسن العيش" « *Le bien vivre* ». مرجعها الأسطوري هو إن الفرد *Individu* في اليونان القديمة يصبو إلى منزلة راقية (نسبياً) تستوي بين منزلي المخلوقات المادية سقائياً والالهة علوياً. وهي بالذات طبقة أبطال الأساطير: أفراد متحررون يعتبرون بمثابة نصف أو شبه آلهة والصورة رمزية بطيئة الحال. لكن مجموعة الأفراد هذه لا بدل لها من ضرورة التعايش في إطار عمراني تُفرض من المتواجدين فيه استعدادات مدنية، أي اعتقادٌ بممارسة مبادئ تنظيمية تتأسس على الإجماع حول القاعدة القانونية وبالتالي تطويق ظاهرة العنف والستوك المشواني.

##### 3.1.1.1.2. التهيئة العمرانية

هذه الاستعدادات لتحقيق العيش الأفضل تستوجب فيما سيأتي وأخلاقية لكنها تستوجب أيضاً تصوراً عمرانيا لممارسة اليعقراطية. بالأحرى لا يمكن أن يمارس الشعب اليوناني اليعقراطية إلا في إطار عمراني يُنظم على هذا الأساس. وقد اشتهر مهندسون معماريون ساهموا في تصورات ورسم المدن التي تمكن من تحقيق الهدف السياسي. هناك مثلا المهندس المشهور Hippodamos وهو أصيل مدينة Milet عاش في القرن الخامس وهو الذي قام بتصميم مدينة Rhodes. اشتهر بوضع نمط نمونجي للمدن سمي "التخطيط الهيرودامي le plan hippodamien". فكان يقترح استبدال الطرقات الضيقة والمائرية بشوارع واسعة و مستوية حسب تصنيف هندسي. وأشار أيضاً بتهيئة المساحات العمومية وذلك لإنشاء فضاءات مناسبة للاجتماع العمومي قصد ممارسة المحاربة. فدولة المدينة من خلال هذا التصور الهندسي الصترف تساهم في حياة اجتماعية متطورة. وقد ذهب Hippodamos إلى حد تصورات المدينة النموذجية التي تضمنت عددا من المواطنين الأحرار يتأهل عشرة آلاف. لكن باعتبار الفئات الاجتماعية الأخرى وهي النساء والأطفال من جهة ثم الأجناب والعبيد من جهة أخرى يبلغ هذا العدد حدود المائة ألف. وعملا تمكن البعض من اكتشاف إن مدينة أثينا سنة 480 ق.م كانت تضم ما يقارب 120 ألف ومن ضمنهم ما يقارب أيضا عشرة آلاف من المواطنين الأحرار. ويعتبر علم الاجتماع المعاصر أن هذه النظرية التي تتعلق برسم إطار معماري لدولة المدينة هي أحدث ما أنتجه المجتمع المدني، ويكفي أن نستشهد بانساط التهيئة العمرانية التي وضعت بالبلدان الحديثة إذ إن هناك اليوم علاقة بين المعطيات العمرانية وتطوير دعائم الديمقراطية مثل السلم الاجتماعية و الإجماع السياسي.

##### 3.1.1.2. المجتمع اليوناني

يعتبر علم التاريخ أن المجتمعات القديمة les sociétés antiques تميزت بظاهرة العبودية كنمط إنتاج فهي - بالتحالي - تمثل أهم معيار في دراستها.

كلية الحقوق و العلوم السياسية بتونس. محركات من دروس الأستاذ صلاح الدين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

### 3.1.1.2.1 العبودية

هي ظاهرة قديمة جدًا في المجتمع اليوناني وبالنسبة لهذا المجتمع يرجع أصلها إلى العصر البرونزي. وقد اهتم الفكر الأسطوري اليوناني بهذه الظاهرة من خلال ما دونه هوميروس Homère. وعرفت اليونان القديمة صنفين من العبودية: ما يسمى بالرق الطبيعي ثم استرلاق أسرى الحرب (أو الرق بحكم المادة) فالعبيد كانوا في الأصل يملكون فئات عربية عن دولة المدينة والتحرر من العبودية كان ممكنًا إذا أتيح للعبيد المشاركة في الحروب (مثل حرب البيلوبونيز Peloponèse 431-404 ق.م) بين دولتي أثينا و سпарта . وكانت الإمكانية الأخرى للتحرر أو المقت هي مشاركة العبيد في بعض المهام الإدارية مثل خدمة الشرطة وهي الوجه الأخر للتعاقب عن أمن دولة المدينة.

فما هو موقف الفلاسفة من العبودية ؟

الفلاسفة اليونانية القديمة كانت تؤيد العبودية لكن كانت في شموليتها تميز بين الرق الطبيعي و الرق بحكم الحرب.

- ◆ الكليوتون les Cyniques (أنظر لاحقاً): هذه الفلاسفة - في مبادئها الأصلية- تؤيد كفاح الإنسان من أجل بلوغ حاجياته الطبيعية ولو كان ذلك على حساب الأخلاق. وتعتبر هذه الفلسفة العبودية ظاهرة طبيعية تتماشى مع الديمقراطية، تساعد النظام الديمقراطي على البقاء لأن - في نظر الكليتين- الديمقراطي هي في الحقيقة بيد الأثرياء وأما الحرية الحقيقية فهي حرية الفيلسوف.
- ◆ أفلاطون اعتبر في كتاب "القوانين" أن العبودية ظاهرة عادية بل تجاوز هذا الموقف وأوصى باعتماد للتوابع في الاسترلاق لتفادي التمرد.
- ◆ أرسطو في الجزء الأول من كتاب " السياسة" يوافق وجود الرق الطبيعي لأنه يرى أن البعض من البشر له استعدادات طبيعية لذلك. يتحدث أرسطو عن فئة تشتم بالقوة الجسدية فيقول إن العبد الذي يستعمل قوته الجسدية هو بمثابة الآلة المتحركة وبالنسبة لهذا العبد فإن الرق يمثل حمولة له. لكنه أوصى بعدم اعتماد القوة تجاه العبيد بل كان يقترح مبدأ الصداقة كعلاقة ممكنة بين السيد والعبد. وقد قبل أرسطو مبدأ التحرر من العبودية بفضل أعمال متميزة. فإذا تمكن العبد من القيام بأعمال متطورة ذهنيًا وفكريًا أو المشاركة في الحرب فهو يستحق منزلة أرقى من العبودية. والإنسان المتحرر هو كما يعتبره أرسطو ذلك الذي تحول من طور الحيوانية إلى فئة الحيوان السياسي.

### 3.1.1.2.2 الأجناب المقيمون Les Métèques

باليونانية القديمة Metoikoi. هم أجناب أحرار يتمتعون بحقوقهم المدنية لكن وقع حرمانهم من الحقوق السياسية وحتى بخصوص الحقوق المدنية هناك بعض الاستثناءات إذ لا يمكنهم الزواج بمواطنة يونانية ولا امتلاك الأرض. لكن هؤلاء يخضعون للضرائب (ضريبة على الملكية) ويدفعون فيها تسبًا مرتفعة كما يخضعون أيضًا لبعض الخدمات والالتزامات منها الخدمة العسكرية مثل المواطنين الأحرار. أما الأنشطة التي يمارسونها فهي بالأساس المهن الحرة مثل الطب كما اشتهروا أيضًا في الحرف التجارة والصناعات المتصلة بالأنشطة البحرية والأعمال العامة. اشتهروا أيضًا بالفلسفة والفكر : تذكر منهم المعلم " أرسطو " و Protagoras الذي كان من أشهر الفلاسفة السفسطائيين وكان من أصحابه الملك Péricles وهو الملك الذي اقترن اسمه بالنظام الديمقراطي بآثينا. كما توأجت هذه الفئة في الميدان الفني والمسرحي ويذكر أن خليفة الملك Péricles واسمها Aspaspie de Miller كانت أيضًا من المقيمين الأجانب وقد كان لها بالغ التأثير على الحياة السياسية.

### 3.1.1.2.3 فئة المواطنين الأحرار

المواطنة هي صفة منححت في اليونان القديمة لمن كانوا يتمتعون بما يستحقه بالإنشاء الناتج لدولة المدينة. والمواطنة في معناها الكامل هي التمتع بالحقوق المدنية وبالخصوص الحقوق السياسية.

أ. شروط و امتيازات الانتماء :

كتابة الحقوق و العلوم السياسية بترنس . مشكرات من درس الأستاذ صلاح النين بن صيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

- الشروط العامة : أن يكون المواطن من أب أثيني ، وفي عهد Péricles وقع التشديد في هذا الشرط وذلك بإضافة أن تكون الأم هي أيضا من نسب أثيني.
- وقع تسجيل المواطن في الحالة المدنية من طرف أبيه (وهو الإجراء الحديث المتمثل في سجل الحالة المدنية) الذي يعتبر الترسيم فيه مؤشرا عن الجنسية. ويقع هذا التسجيل في المنطقة Dème.
- الممارسة السياسية : المواطن له حق المشاركة في أعمال مؤسسات دولة المدينة وذلك بالتعيين أو الانتخاب ثم له الحق في المشاركة في المفاوضات الموسمية بالخصوص تلك التي تتعلق بالقرار السياسي. والفكرة الأساسية هي أن المواطن في هذا النظام -المفترض أن يكون ديمقراطية مباشرة أو غير مباشرة- يشارك بصفة فعّالة في سن القوانين إن أراد ذلك.

ب. الواجبات :

- الإمتثال للقوانين باعتبار أن احترام القانون هو المقياس الأول للنظام الديمقراطي.
- احترام الآلهة،
- القيام بالخدمة العسكرية،
- دفع الضرائب. علما و إن هذا الشرط الأخير هو الذي اعتمد لمنع صفة المواطن في الدول الحديثة و ذلك منذ الثورة الفرنسية.
- ج. الحرمان من المواطنة :  
سبب عقوبة جزائية أثر جرمية ضد الدولة فقط أو عقوبة الإبعاد Ostracisme بسبب جرائم قصوى مثل القتل أو الخيانة.

### 3.1.2. الديمقراطية

تعتبر الديمقراطية في اليونان القديمة نتيجة لاستراتيجية سياسية مبنية على إرادة التفوق أكثر من أنها تمثل مبدأ أخلاقيا أو فلسفيا. وهذا أمر أساسي.

فالفكر السياسي ساهم في اختراع فكرة الديمقراطية لكن لم يكن بمستوى اللقب الذي ظهر في الإرادة السياسية المدنية على القوة والانتصار على الآخرين، وهذه الفكرة نشأت مع نهاية القرن 6 وبداية القرن 5 ق.م في أثينا، ولا شك إن المعطيات الجغرافية ساهمت في نشأة الديمقراطية. فالإيونان كانت تتكوّن من عدة مدن متنافسة متساقطة على السيطرة وكانت هذه المدن تمثل كيانات سياسية صغيرة قادرة على التعبير المباشر عن الإرادة الجماعية.

#### 3.1.2.1. نشأة النظام الديمقراطي

##### 3.1.2.1.1. المحاولات الأولى لإرساء النظام الديمقراطي في أثينا

في أواخر القرن السابع ق.م (سنة 621 تقريبا) ظهرت في أثينا أول قوانين مكتوبة . ثم المحاولات الثانية كانت سنة 594 ق.م بقيادة الحكيم سولون Solon (640-561) و ذلك بروجوع و جيز للنظام الديمقراطي . وناثي إلى سنة 510 ق.م حيث بدأت ممارسة الديمقراطية تتجسم في ترسيخ عادة سن القوانين المكتوبة باعتبار إن لها علاقة مباشرة بحماية الحريات<sup>(1)</sup>. فجهه المكاسب بقيت ثابتة حتى زعزعة النظام الديمقراطي سنة 403 ق.م إثر هزيمة أثينا أمام سبرط في حرب ال Péloponèse. والذي يعتبر المؤسس الأول للنظام الديمقراطي في سنة 510 ق.م هو المفكر والرجل السياسية Clisihène (600-507) الذي كان من حكام أثينا. أراد هذا الرجل السياسي القيام بإصلاحات سياسية ذات النفس الديمقراطي لكنها كانت في الحقيقة عملية انتهازية هدفها

<sup>1</sup> إلا أن هذا النظام ثابت في تاريخ الحريات العامة والديمقراطية : كل المكاسب التي تحمّلت عليها الإنسانية في هذا الميدان كانت دائما في صلب قوانين مكتوبة وكان الوثيقة المكتوبة تمار على القيم المرمقة nonnes contraires من حيث أنها تحمل ضمانا على يكسيها : التساير المكروه بصفة عامة، وهنا نذكر أن حتى التوراة ذات التساير المرمقة تكون ترمقا المنطق بالحريات تشرحات مكتوبة ( برطانيا) وهذه النظام تستحب على الواجبات الترتيبية مثل الإعلال المدني حقوق الإنسان وما عناه.



التحصل على المساندة الشعبية قصد الإطاحة بحكم الملك المسمى Izagoras. فوجه Clisthène نداء إلى شعب المناطق Dèmes من أجل المناهضة السياسية للإطاحة بالنظام الاستبدادي. قلت الملكية إلى إمامة نظام سلطة المناطق Démocratie.

لكن يجب التمييز هنا بخصوص الحركات الشعبية بين هذا النوع الذي يقوم نظاما سيمانيا يحترم القوانين والحقوق الفرديّة ثم بعض الانتفاضات من نوع خاص، تؤدي إلى نظام شعبيّ populistique وهو النظام السياسي استبدادي هو الآخر إذ يزايد بإرادة الشعبية بقصد ضرب الحريات .

3.1.2.1.2 الحدث المؤسّس : مرتبة مقلّبي حرب ال Peloponnèse du guerriers

إيام حكم الملك Périclès ( 495 – 429 ق.م) كانت أثينا قوية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لكن الحرب بينها وبين سيرطا انهكت قواها، مع التفكير وأن أثينا هي التي بلارت بالحرب. وعلى إثر كل معركة كانت تقام مراسم دفن القتالين. وخلال هذه المراسم تُستد المهيمة لرجل سيلسي لإلقاء مرتبة. لكن – مع Périclès – سيجاوز خطاب المرتبة فعواه الممهود ليقيم بتعميد التيم السياسية لدولة أثينا.

وقد وردت هذه الوثيقة في كتاب التاريخ لتلك الحرب الذي كتبه المؤرخ Thucydide<sup>1</sup> ولو أنّ هناك من المختصين في هذا الموضوع من يشك في صحة هذا الخطاب فينسبه لـ Thucydide نفسه إذ أنّ هذا الأخير أثر تقديم أفكاره في النظام الديمقراطي الأثيني على إسمان الملك<sup>2</sup> على أية حال فما هي الأفكار العامة التي وردت في المرتبة ؟ النظام الديمقراطي هو نتيجة إبداع وليس تقليد.مما يساهم في تثبيت فكرة ارتباط هذا النظام بمعطيات جغرافية-سياسية كانت ملائمة في ذلك العصر، خلافا للأقاليم الكبرى التي كانت تحكمها إمبراطوريات مركزية، وفقا لنظام الاستبداد الفترقي<sup>3</sup>: «المتمين، مصر الفرعونية، بلاد فارس».

هذا النظام هو تعبير عن إرادة الأغلبية وهو ما يعل ظاهرة فريدة من نوعها – إذا قسناها بعصرها- إذ إنّ اللمة السياسية المرتبطة بمفهوم "الأغلبية" لم تبرز إلا منذ التصالح أنظمة الحداثة السياسية.

احترام القوانين وأولوياتها. نجد في المرتبة بعض الاعتبارات الصائرة على إسمان الملك تتعلق بالمساواة أمام القانون Isonomia ثم مبدأ حق المشاركة في التعبير عن الرأي Iségoria.

وهناك مبدأ يبدو غريبا في شكله -أو من صنف المقارقات- هو تقديس القوانين المنظمة للحريات Thesmoï وهو ما يعتبر بمثابة الحياة من أجل حصولها. وهو ما يبرهن عن التعلق بها إلى حدّ منع الإطاحة بها بمناسبة تغيير سياسي إذ يبقى المقنن فوق الاعتبارات الظرفية. ففي القانون الدستوري الحديث نجد هذا التقني في النطاق عن المبادئ الدستورية المتعلقة للحريات و ذلك بالقرار علويتها.

مبدأ التفوق وذلك في كيفية الإعداد للحرب باستيعاب دولة المدينة لكنّ الطاقات للعرض. وفي ذلك اعتماد لنبدأ الديمقراطي كوسيلة لحشد الطاقات إذ يقول Périclès<sup>4</sup>: " إنّ دولنا مفتوحة للجميع".

- مبدأ التسامح، وهو مفتاح التمايش و سدّ الطريق أمام الإقصاء التي يشكل بدوره بوابة الاستبداد.
- مبدأ احترام الحرية الفردية والحياة الخاصة.
- ثمّ يؤكد الملك على مبدأ الأخلاق الحرة، التي يمنع أي مواطن من أن يحكم على تصرفات مواطن آخر. فأوصى الملك بالامتناع عما أسماه بتبادل الاتهامات. أي انه لا يمكن لأي مواطن أن يقيم مواطنا آخر.
- هذا المبدأ هو مكسب يقتسي أهمية قصوى إذ يمثل الركيزة الأساسية للديمقراطية الحديثة التي لا تتعامل مع مبدأ الموازنة الشخصية والكثير. فالقانون وحده هو المقياس المحدد لكلّ التصرفات والعلاقات بين البشر.

<sup>1</sup> La Guerre du Peloponnèse

<sup>2</sup> انظر. CHEVALIER ( Jean Jacques ) : Histoire de la pensée politique, Paris, Editions Payot, 1979, p. 48.

<sup>3</sup> ... مع الملاحظة أن هذه الاعتبارات تجاوزها التاريخ إذ إنّ في العصور الحديثة وحكم التطور الاقتصادي-السياسي أصبح النظام الديمقراطي صالحا في كلّ الحالات.

3.1.2.2 مؤتمرات دولة المدينة  
سبق الذكر وأن هذه المؤتمرات التي تراكب نمو الفكر الديمقراطي ظهرت منذ نهاية القرن 06 ق.م أمتها :

### 3.1.2.2.1 الجمعية العامة

التقديم :

وتسمى باليونانية Ekklesia وهي الهيكل السياسي الذي يمثل السلطة التشريعية. لكن في نطاق أوسع هي تعبير عن سيادة الشعب بالخصوص في هذا القرن الخامس ق.م.

عندما بدأ عصر الإصلاحات –(انطلاقا من العشرية الأخيرة للقرن 6 ق.م) فكر مؤسسا النظام الديمقراطي في إعادة التقسيم الجغرافي بما يوافق توسيع التمثيل الشعبي، قام المصلح Clisthène بتقسيم إقليم أثينا الكبرى إلى عشرة مناطق Demes (بعد أن كانت أربعة فقط في عصر النظام الأولقارشي، وهو ما يناسب حكم الألائية الثرية). وكان هدف التقسيم الجديد إدخال شيء من التوازن بين المناطق وتجنب التحالفات المشتركة. ثم وقع تقسيم العشرة مناطق بحيث أصبح عددها الجلي يقارب المائة منطقة مفرّعة جميعها مراكز للانتخابات ولتعيين ممثلي الشعب سواء كن ذلك في السلطة التنفيذية أو في السلطة القضائية . وهذا التقسيم يمثل أوسع تغيير عن الإرادة الشعبية مما جعل بعض المؤرخين للفكر السياسي مثل François Châretet يؤكدون في أن الجمعية العامة لم تكن لغشاء موحدا في وسط العاصمة بل ربما كانت تغييرا رمزيا عن مجموع المناطق. فهذه الأطروحة تجعلنا إنن نشكك في الديمقراطية المباشرة و نرجح ممارسة الديمقراطية الغير المباشرة.

ب. شروط المشاركة

– صفة المواطنة: كما سلف ذكره فإن المواطن لم يكن مطالبا بالمشاركة العامة بل بمراقبة المداولات بحدوث حضوره. وكان بإمكانه التدخل في أعمال الجمعية العامة سواء كان ذلك بالمناقشة أو بإجراء قانوني يتمثل في الطعن في القرارات التشريعية التي تكون مناقية للقوانين المعمورة أو للقوانين الأصلية ذات الطابع المتكس والمنظمة للقرارات . وفي هذا الاحتمال لولم يتمكن المواطن من إثبات ما دفعه للطعن يكون قد عرض نفسه في حالات عديدة لأشدة العقوبات الجزائية.

ج. المتاحيات:

• صلاحيات أصلية تتمثل في العمل التشريعي لكن بدون مساس للمنظمة للقرارات التي تبقى – كما سلف ذكره – غير قابلة لأي تغيير أو إلغاء .

• صلاحيات واسعة يُبرر عن سيادة الشعب كاختيار الأعضاء سواء بالعينين أو بالانتخاب أو بالقرعة. ثم في السياسة الخارجية إعلان الحرب ومراقبة تسيير الممارك وكذلك إعلان السلم والمصادقة على المعاهدات الدولية أو إلغاؤها. ثم تعيين السفراء. ومن أهم الصلاحيات، مراقبة أعمال السلطة التنفيذية من خلال اختيار الأعضاء كقرار جلسات غير علانية لتسليط هذه المراقبة. ثم تقييم أعمال السلطة التنفيذية وتصحيح الإجراءات وربما تسليط العقوبات.

### 3.1.2.2.2 السلطة التنفيذية Boulé

تسمى مجلسي الجمعية لإثبات تضمّ خصمائه عضو هم Les Bouleutes (وربما خصمائه عضو إضافي بصفة احتياطيين ) يقع اختيارهم بنسبة خمسين من كل قبيلة من بين باقي سن الرشد ولا يمكن المشاركة في دورات السلطة التنفيذية إلا مرتين.

الصلاحيات : السلطة التنفيذية هي السلطة التي تصنع القرار القابل للتنفيذ. لها حق المبادرة ثم أنها تتخذ قرارات الجمعية العامة أو قرارات الحاكم وهي مستقلة عن الجمعية العامة وتتمتع بسلطة تنفيذية.

3.1.2.2.3 المحاكم :

في عصر الديمقراطية اليونانية كانت المحاكم خاضعة للمشركة الشعبية. فالقضاة يقع اختيارهم في الأوساط الشعبية وعددهم كان يتراوح بين 201 و 501 .

كتابة الحقوق و العلوم السياسية بفرنس. مفكرات من تدرس الأستاذ صلاح الدين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

ينكسر أرسطو في كتابه " الدستور " أن الملك الديمقراطي Pericles قرّر إسناد منح مالية للقضاة وذلك لتجنب الرشيوة.

#### أ. شروط المصيرية

– أن يكون القاضي من فئة المواطنين الأحرار ،  
– أن يتحلّى بأخلاق عالية وأن يتجاوز سنه الثلاثين.

#### ب. المصلحيات :

– أهلية وهي حسم النزاعات.

– لكن المصلحيات الخاصة كانت ذات أهمية من حيث التعبير عن ممارسة الديمقراطية إذ كانت المحاكم تراقب قرارات السلطة التنفيذية كما تنظر في النزاعات العاصلة داخل الجمعية العامة، كمرالبة مستوربة القويّين والنظر في القوانين الجائرة.

ومن أهم المصلحيات : الإجراءات المتبعة في حل النزاعات الجزائية والتي كانت تابعة عن القانون المدني. فالمحاكمة الجزائية كانت تتم في نزاع يكون فيها الحق الملمح محور طرف. وبالتالي على النيابة أن تبت الإدانة. وهو ما يمكن مقارنته بالقانون الانكليو سكسوني anglo - saxon الحديث (بريطاني، أمريكا الشمالية...)، وفي ما يخص العقوبات فقد كان يقع إقرارها بالتقاضي من الأطراف: المتضوّر يقرّ العقوبة المسلمة على خصمه والعقوبات تكون جسيمة تذكر منها عقوبة الإبعاد (ostracisme). والحكم يكون نهائياً غير قابل للطعن.

## 3.2. الفلسفة

### 3.2.1. الفلسفة في أثينا في القرن الخامس ق م

تقديم:

ما هي العلاقة بين القرن الخامس ق م والفلسفة؟ يكمن الجواب في أن ذلك العصر اقرن بالنظام الديمقراطي وبالمخاض الفكري الذي تفاعل مع العمل السياسي. وكان النظام الديمقراطي يستمد شرعيته من الإجماع الفكري، وفي المقابل يستغل هذا الأخير الطراف السياسي ليتطور.

ويتجلى ذلك - على سبيل المثال - في العلاقة التي ارتبطت ما بين الديمقراطيّين و السطة حيث ذهب هؤلاء في تعجيد النظام الديمقراطي. إلا أن هذه العلاقة قادت مصداقيتها المطلقة عندما حلت الفلسفة التقيية مع سقراط الذي جاء بالمشكك في المسلمات قادت الأمور إلى محاكمة هذا الأخير و إعدامه.

و قد سبقت الإشيرة للقدامي Presocratiques و لعلمهم في اكتشاف الأبعاد الكورتية و بالتالي في رسم مجال مستقل للعقل بعد الخروج من العالم التيني الأسطوري. كما كان الفضل للقدامي أيضا في اكتشاف الآت وهو ما يُعتبر عنه مقولة: "أعرف نفسك بنفسك" المذكورة سابقا<sup>1</sup> وهي أيضا الركيزة الأساسية للفلسفة عند سقراط.

لكن لنترك القدامي بعد التأكيد على دوره الحاسم و لنرجع للعلاقة بين الفلسفة و السبئية: إن بناء مجتمع سياسي جديد يحتاج إلى تصوّر جديد يواكبه و الفلسفة لها دور في ذلك إذ أنها هي التي تصنع الاتعالم الضرورية لذلك التصوّر. لكن هذا الثلاثم أو هذا التقاسم غير باعتبار أن النشاط الفلسفي لا يقتصر على فترات التأسيس فقط بل أنه يتواصل في الفترات المتأخرة إن لم تكن في تراجع. ولا عرابه في ذلك لأن الإنتاج الفكري بمختلف مظاهره ما هو إلا تسيير عن عصره.

في الإطار التاريخي الذي يهتما نرى أن الفلسفة انطبعت وفقا لمرططين أساسيين:

- مرحلة النظام الديمقراطي (في التحديد الأثني) و دولة المدينة (في مفهومها السياسي الواسع) يتكبد إشباعها مع المسقطاتيين Sophistes الذين اعتبروا كمتحدين لأفكار وقيم النظام الديمقراطي فيتحلى دورهم في تكوين اللغية الإثنية ولو أن البعض منهم لازم في سلوكه الآتني، بعض الفلك بما يفيد التراضع و شيء من التساوم إلا أن صورتهم بقيت مشددة بقميد قيم دولة المدينة و بالترعة التقيية.

- مرحلة تراجع النظام الديمقراطي و في إطار أوسع تقتصر دولة المدينة و حلول العهد الإمبراطوري (نهاية القرن الرابع ق م).

تعتبر محاكمة سقراط وإعدامه (399 ق م) لا يعتبرها حتى بداية القرن الرابع ق م - نقطة التحول التي أحدثت وقلعة تأمل تراوحت تدريجيا من الغيبة (أفلاطون) إلى المتخربة (الكليون Cyniques) وصولا إلى التحول عن الدور السياسي (و ليس عن الظاهرة السبئية) للاتشغال بالبناء الميتافيزيقي (أرسطو).

ثم - و بشيء من التعاوت التاريخي - نذكر الأبيقوريين les Epicuriens و الرواقين les Stoiciens كتسير عن فلسفة عملت في آخر التحليل على التخفيف من معاناة الإنسان في ظروف اُسمت بالقسوة والرتة الفكرية والاضطهاد.

<sup>1</sup> راجع مفهوم السياسة عند إيمان الصفا

تسميتهم باليونانية القديمة Sophistês تعني "الخبراء في الحكمة" Experts en sagesse. هذا التيار -كما سبقت الإشارة إليه- هو الذي أرسى دعائم التعليم الفلسفي في القرن الخامس ق.م حتى أن الفيلسوف الألماني Hegel كان ينعث السفسطائيين بكونهم "أسباد اليونان" Les maîtres de la Grèce. فتألق هذا التيار أيام النظام النيمقراطي، وكان يتكون من شخصيات فلسفية فذكر منها :

— بروطاغوراس Protagoras (حوالي 492 — 411 ق م) يتصنر التيار. كان خطيباً وهو صاحب المقولة الشهيرة : " الإنسان هو مقياس كل شيء " *l'homme est la mesure de toute chose* وهي مقولة تميز عن نزعه للنسبية وبالتالي للثبات حتى في وجود الآلهة حيث أنه أيضاً صاحب القولة الشهيرة: " بخصوص الآلهة لا إلهك الوسيلة لمعرفة من يكونون أو من لا يكونون إذ إن المواقف في ذلك متعددة منها اللامرئية *l'invisibilité* و لصن عمر الإنسان". وقد كلفه هذا التشكيك محاكمة بتهمة الكفر إلا إن ذلك لم يضمنه من الإلتزام بالأساس إلى تجاره الفلسفي وذلك في اعتماده للتقنين و التنظيم بمقابل (وهو المؤسس لهذا المبدأ) و التي أجد على مساحة العمل السياسي. كان يصنِّح بأنه يعلم الفضيلة *Arête* ولر أنه كان يختلف في معناها مع سقراط و قد ظهر كمنزاع لسقراط في الحوار لافلاطون التي يحمل اسمه (*Protagoras*).

— غورجياس Gorgias (483 - 385 ق م) كان يتحلى بثقافة واسعة ويتعاطى هو أيضاً -كسائر السفسطائيين- تلقين الفلسفة كهيئة بمقابل. كان يحث أتباعه على حفظ دروسه عن ظهر قلب ويسافر في الأقاليم لإلقاء المحاضرات. كما أنه كان يتفجع بعهلة خطابية تفككه من التفاع عن أي قضية. ظهر هو الآخر في حوار *Gorgias* (أو حوارين) لافلاطون.

وبصفة عامة اشتهر هذا التيار بالتهريس وكان منهج السفسطائيين يمثل التواصل مع القرون السابقة — من جهة وذلك بترويج مختلف العلوم، لكن هناك من جهة أخرى من يرى أن هولاء خلقوا بعض السلبات باعتماد ضرورة الإقناع و الاعتماد أيضاً على قوة البيان *force de la rhétorique* ولر كان ذلك على حساب الحقيقة. وهناك من يذهب إلى حد القول بأن المنافع الممّ في النظام الديموقراطي سمح للسفسطائيين — بإيراز ممولهم للتعضية (*démagogie*) ومدح الحاكم- وبالتالي الحط نسبياً من منزلة الفكر. كما إن هذا التيار يكون قد ساهم بعض الشيء و بصفة موضوعية في انبهار تدريجي لعضلة أئبنا و ذلك بسبب ترووجه لعمق فكري لا يعتمد التقد بالأساس.

### 3.2.1.2. سقراط و الثغولك

كان سقراط (469-399 ق م) فيلسوفاً مخلصاً محبا للعمل وهو ما جعل الرأي العام يعتبره إنساناً خارجاً عن القواعد الاجتماعية. كثيراً ما حصلت في الفكر الغربي مقارنة بينه وبين النبي عيسى، فالإثنان خلقا تأثيراً كونياً لكن لم يتركأ أية آثار مكتوبة بل أن أفكارهما وقع تدوينها من طرف الأتباع. وبالنسبة لسقراط، فإن أفلاطون وكرينوفون Xenophon هما اللذان دونتا جل أفكار المعلم .

### فما في أفكار سقراط؟

♦ العنصر الأول: اللامرئية أو الإستقرار  
وهو اعتماد منهج يبرز في ظاهره النتائج العملية ورفض الجدية بالاجوء للسخرية. وهو في الحقيقة سلوك يهدف إلى عدم الاكتفاء بالمسلطات وبمختلف المطومات المتراكمة وبالتالي فهو يوصي بإعادة النظر والتفكير في مختلف الظواهر اعتماداً على التقه والتحقق. وهو أسلوب يبدول لما أقدمه السفسطائيون الذين كانوا يجيبون عن الأسئلة.لكن سقراط يفمل العكس أي أنه يبقى الأسئلة على الإتياع لحثهم على اكتشاف الحقائق في ميادين يعتبرون فيها أنفسهم علماء. فبالنسبة لسقراط لا يمكن للإنسان أن يتوصل إلى حقائق ثابتة، فالمنهج الاستقرائي يستحيل فيه القطع بالنتائج.أما عن تأثير هذا المنهج : فهو يمثل أول مرة فكرية في التاريخ البشري. قبل هذه المرحلة يرجع الفضل للفكر في اكتشاف العلم والفلسفة كمبدئين مستقلين. لكن مع الإبقاء

على المناهج القديمة أي الفتيان أو التعليم التراكمي، فسقراط أحدث القطيعة بتوظيف اللطائف الأذهنية اللاتينية. مما يفضي إلى الوعي بالذات وبالتالي اكتشاف ظاهرة الفرد.

#### ♦ المفرد الثاني : الفرد L'individu

يعني به الفاعل le Sujet وهو المسؤول عن نشاطه الفكري وليس المستهلك لاكار الاخرين. **الفلسف في المسلمات** هو الذي يبرز عند الإنسان ظاهرة الفردية أو الفردانية L'individualisme أي - في آخر التحليل - ما يمكنه عطيًا من الحفاظ على ذاته و بالتالي على حريته. وهذه النظرية تقرض اختلاف الأفراد بعضهم عن بعض. وهو ما يقيه سقراط بيزان ظاهرة ال atopos وهي الغرابة المطلقة لدى كل شخص، أي استحالة التشابه أو التماثل. فالفرد في الفكر السقراطي هو ظاهرة غريبة عن أي فرد آخر. وهذه الغرابة étrangereté التي نراها في غيرنا هي كائننا فيما : ففي كل فرد يكمن جانب من الغرابة التي هي في الحقيقة صمورة للآخر. في حوار الملوية Le Banquet يقول Alicibiade " أن الإنسان أو الفرد هو تعبير عن غرابة مطلقة " وحيدة من نوعها. ينجح عن هذه الفردانية عدم التشابه وبالتالي إذا استطاع الإنسان قبول غرابة في ذاته فذلك سيساعده من باب أولى و أخرى على قبولها في الآخر وهذا هو احترام الاختلاف وهو ما يسمى اليوم أيضا بالأخرية altérité التي تفتح الباب للتسامح وذهنية التميؤ اعلية.

ويمكن لنا أن نستعرض هذا الاكتشاف في مختلف التيارات الحديثة. كثيرخ الفكر الإسلامي الروحاني : فالوحيان التوحيدي في "الإشهارات الإلهية" بحثت عن ظاهرة الغرابة التي تؤسس الاختلاف. كذلك التيار الصوفي الذي يعتبر فيه الحلج نفسه آله مسبحي و بهودي وثي في أن واحد. ثم نذكر محي الذين بن عربي - الشيخ الأكبر عندما يتحدث عن الفردانية التي تتميز عن الاختلاف المطلق وكأنها تعتبر عن منزلة الارتفاع فهو يتراف بالفردانية لبعض الشخصيات الاجتماعية المعتبرة عن غيرها مثل الأنبياء أو الأولياء وكل ما يتصل بهؤلاء الأفراد (انظر لاحقاً).

ثم هناك الرائد الثاني في الفكر الغربي الحديث الذي ظهر بعد القرن 16 : نجد الفيلسوف الألماني Leibniz الذي يعتبر من الأوائل الذين وضعوا أسس الغرابة في كتابه *La Monadologie* (ما يسمى بالذات المفردة). ثم هناك فلاسفة آخرين عتقوا ظاهرة الفردانية مثل البريطاني Thomas Hobbes في مقاله الشهير *Le Léviathan* (الفتين).

هذه الفردانية التي انطلقت مع سقراط تعتبر في نفس الوقت عن سلوك فلسفي له تأثيره وهو ما يسمى بالاهتمام بالذات le souci de soi أي أن الإنسان سيهتم بتطوير مختلف القدرات الذهنية والجسدية التي يتمتع بها فينجز عن ذلك اكتشافه لمنزلة الذاتية فالاجتماعية فالسياسية باعتبار أن الجسد والذهن من أهم المظاهر الإنسانية ويجب بالتالي احترامها وعدم الاعتداء عليها وبهذه الكرة ( الاهتمام بالذات) ساهمت الفلسفة الحديثة ( القرن 16) في ظهور أهم مكاسب الثورة الدستورية البريطانية تمثل - كما سلف ذكره- في "الحصانة الجسدية *Habeas Corpus* وهو الأسس اليوم لإيدولوجية حقوق الإنسان.

#### 3.2.13. الكليوتون Les Cyniques

حركة فلسفية رقتية (contestataire) ظهرت في اليونان في القرن الخامس ق م حول شخصية ثيوجين سينوب Diogène de Synope أو ثيوجين الكلب Diogène le Chien و توصلت حتى القرن الخامس بعد الميلاد. و قد مارست هذه الحركة مواقف رافضة معادية لما هو معمول به في ميدان السياسة و الأخلاق والقيود و الألب مقترحة اختصار المسافات المقطوعة لا بلوغ la voie courte الغير الضرورية كمشاكل اللثة المبتذلة مثل الشهوات المفرطة. الزهد و التجلد بما يعني عدم تحمل الأعباء الغير الضرورية كمشاكل اللثة المبتذلة مثل الشهوات المفرطة. فتكون هذه السعادة في العود عن هذه الشهوات تغييرا -مرة أخرى- عن الاهتمام بالذات كسلوك في تحرير الجسد بقصد بلوغ الترفع الأخلاقي بما يفيد الارتفاع.

كتابة الحقوق و العلوم السياسية بفرنس. مفكرات من دروس الأستاذ صلاح الفين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

1. ما هو سبب التسمية بالكليبين؟

- التفسير الأول: يندرج في إطار التقاليد الأكاديمية للرومان القديمة أين ترجع تسمية الحركة أو المجموعة الفلسفية للمكان الذي تجتمع فيه أو تباشر فيه نشاطها<sup>2</sup> ،فالكليبتون كانوا يجتمعوا في مكان اسمه مدرسة Cynosarges للمكان الذي تجتمع فيه أو تباشر فيه نشاطها<sup>2</sup> ،فالكليبتون كانوا يجتمعوا في مكان اسمه مدرسة Cynosarges وأصل كلمة Cynosarges يعني لحم الكلب أو الكلب الأبيض أو الكلب التريخ.

- التفسير الثاني: يرجع لسوك الجماعة التي كان يشتم بلواقحة impudence و ثلاثة الحياه impudens من المؤسسون؟

Antisthène (445-360 ق م) تلميذ سقراط ثم دوجين الكلب (412/404-321/321 ق م) و دوجين هذا الشهير بنو اذره منها انه طلب ذات يوم من الإمبراطور إسكندر المقدوني (إسكندر الأكبر) الذي كان يصعد محمدا أن يتعد من اسمه ليرتفع بأهبة الشمس "Alexandre de mon soleil ôte-toi". كما أن دوجين الكلب كان يتام في حرة و ذات مرة دخل المسرح وهو يصلح الخارجين منه و عندما طلب منه سيب ذلك قال: "هذا ما أؤوم به طيلة حياتي" (أي المصاحبة لكن بالمشرك و الأورال). كما إنه كان يمشي القهقري في مكان عمومي و عندما ضحك منه الناس ردت: الا تلاحظون الحياه انتم الذين تمشون إلى الوراء على درب الحياه؟

3. أفكارهم:

حسب سلوك دوجين الكلب لا شيء يستحق أهية سوى الفرد الذي يتمكن تحقيق سعاده بلرشاده لطريق الثورة الفردية. و بالتالي يرفض الكليبي (أو المتأخر) كل الممنوعات المعتادة أساسا في القيم الأخلاقية أو الاجتماعية. و ربما يكون هذا المتأخر رد فعل ضد حياة البذخ للأثرياء المنتقمين بالنظام السياسي غير مكثرئين بمصير الآخرين و هذا ما يجعل البعض يقول أن فلسفة الكليبين من هذا الباب هي بمثابة فلسفة أخلاقية مضملاة.

و ربما تكون أفكار Antisthène أقرب إلى الحكمة منها إلى التمرز الفردي (شان دوجين الكلب) فقد كانت أفكار Antisthène بسيطة لكنها قوية في أن واحد. بالنسبة لهذا الأخير فإن مرجع كل القيم الإنسانية هي الفضيلة la vertu و هي ليست فطرية و بالتالي يمكن تلقينها أو التدريب عليها. فهي تكمن في الأعمال و تنمو من خلالها. فالفضيلة تنامتس على الجهد و الجهد يمثل بدوره ظاهرة إيجابية بل خيرا في حد ذاته. و بهذه الصفة فإن الفضيلة تعقل درعا منيوبا وهي الثروة الحقيقية التي تختلف عن مظاهر الثروة الظاهرة و السخيفة مثل المال الذي يجعل الإنسان يفتد توازنه.

فكيف يمكن بلوغ الفضيلة؟ كيف يمكن الانتقال من جمهور الخفق إلى نخبة الحكماء؟ يكفي من أجل ذلك التأكلي عن الشرّ و تقاسيه le mal déprendre و ذلك بالمحورل عن الملمات و المصاحبات التي يرضها المجتمع لضمان بقائه. وبلوغ ذلك يشير الفيلسوف Antisthène إلى ضرورة اللجوء لما هو أعلى من الصفات الأثنية و التمثل في قوة تتكون من عنصر مادي و من عنصر روحي تُسمى ischus كان يتكلم بها هيرقل Hercule - وهو رمز هذا التيقال الفلسفي - كما مارسها سقراط. و هذه القوة (ischus) هي الإرادة التي يبلغ بفضلها الإنسان محطة أساسية تركز على:

- الصبر أو التحلد (endurance)
- ضبط النفس أو تملكها (maîtrise de soi)
- هدوء الأعصاب بما يشبه اللامبالاة (l'impassibilité)

3.2.1.4. كزينوفون Xenophon

ولد حوالي 427-430/ و توفي في 354-355 ق.م كان ابن من تلاميذ سقراط مثل أفلاطون لكنه أصغر سنا. ولادته جاءت في نهاية عصر النظام الديمقراطي بلينا (بعد وفاة الملك Péricle سنة 429 ق م).

..... أما انتاج أفلاطون فالأكاديمية، ثم تلاميذ أرسطو بالمعهد الإيجوستي les Stoiensiens ومنها stoia<sup>2</sup> الروا القيون: الرواق

سيرة الذاتية لا تشير إلى كونه احترف الفلسفة بل أنه كان من فرسان أثينا مولما بالفنون الصربية. أديب ومثقف في نفس الوقت – يمتاز بذكاء عملي، يتظاهر بعدم انتمهاج سلوك الفيلسوف. هذه الإسماسي تمثل في طرح أسئلة عقلية ومحاولة الإجابة عنها على نحو " ما هو المحل ؟" أو " كيف يمكن الحفاظ على حسن المشي ؟" فإن لم يكن فيلسوفا بالمعنى الكامل إلا أن الفلسفة كانت موجودة في كل أصغاله الفكرية والموسمية. اختار مثل أفلاطون الكتابة وفق أسلوب الحوارات.

مؤلفاته :

1) *La Cyropédie* أو تربية الامبراطور Cyrus وهو القروش الاكبر مؤسس الإمبراطورية الفارسية والحاكم المثالي بالنسبة إليه. هذا الكتاب لم يلتزم المنهج التاريخي بقدر ما طرح تصورا طوباويا لسيرة الملك. وهو من نمط الألب السلطاني<sup>3</sup>. يقدم كزبولون شخصية الملك Cyrus كتفسير عن إرادة القود. لكن مشكل القروش إن البشر – خلافا عن حيوانات- يكافحون كل من حاول بسط نفوذ عليهم. إنز فإن الحل بالنسبة إليه يتصل في بسط نفوذ عادل. وفي مقابل الطاعة يعد الحاكم وهو Cyrus بالاسمي من أجل تخمين وضمهم و الترفيع في معاملتهم. كما أنه يجب عليه حسن معاملة الموزومين بهدف كسبهم إليه. فالفيلسوف Xénophon في بداية الكتاب يقول بأن أهم الطواهر السيمالية هي عدم الاستقار والسعي الدائم لدى الشعوب للثروة والإطاحة بالنظام السياسي. فالحل يتصل إنز في إسناد السلطة لقلاد يقسم بالافتقار والامتنان مثل Cyrus باعتبار أنه يوفق بين الاستبداد (بمعنى أحكام السيطرة) والحل.

2) ذكريات عن سقراط *Les Mémoires*. في هذا الكتاب يقدم كزبولون أستاذه سقراط كمثال للرجل العادل الذي لا يسعى إلى بسط نفوذه الفكري على الآخرين. فيبتدئ Xénophon – مثل أفلاطون – بالحديث عن المظلمة التي حصلت لسقراط وبالتالي يكتب نصا هو بمثابة المرآة للتدافع عنه.

3) العبادية *Le Symposium ou le Banquet* التي تناولت أيضا سقراط بالحديث – خلافا عن مادية أفلاطون التي تتسم بالجد والتمسك في المسائل الفلسفية فإن مادية كزبولون تتصل في مواقف طريف وخفيف ولو أنه لم يتناول عن الخوض في مسائل أساسية مثل الحب والتربية والفضيلة – ولهذا الكتاب قيمة تاريخية لأنه يصف حياة أثينا باكثر واقعية من أفلاطون.

كما أن هناك مواقف أخرى مثل:

- *L'Economique* أو *Le Gestionnaire d'une propriété* وهو اقتصاد التصرف في الممتلكات
- *L'Anabase* أو *Campagne de Retraite* وهو كتابه الأكثر نجاحا في الأداء، يروي فيه الفيلسوف حادثة خطيرة عاشها – وكان سقراط قد نصحه بعدم الإقدام عليها وهي مصاحبة Cyrus الأصغر في حملة عسكرية في عمق بلاد بين نهريين (المراق اليوم) ثم الهزيمة التي لحقت بهم وتراجع الجند على مسافات طويلة يحيطهم المحر حتى الوصول إلى مرسى السلامة.
- القيمة في هذا الكتاب تاريخية وسياسية أكثر منها عسكرية تتصل في النهزام للنظام الإمبراطوري (الفارسي بالمفاسية) أمام البراعة في التكتيك العسكري اليوناني. ولعل هذا التناقض سيصاحب أهم الهزائم الممكنة التي منيت بها الأنظمة الاستبدادية التقليدية أمام إصمالم العقل والتقنية المتطورة وهما من سمات الجهاز السياسي / الحربي الحديث.
- *Les Héliéniques* وهو تاريخ اليونان منذ سنة 411 إلى حد 362 ق.م والصندقة أن هذا التاريخ ابتداء مع نهاية الفترة التي كان لا تتناولها من قبله Thucydide مؤرخ حرب ال Peloponnèse.

<sup>3</sup> Miroir des Princes الذي سبب شهرة في ما بعد مع الرومان ثم مع العرب (مثلا المارودي والبغدي). ثم إن حد عصر النهضة في أوروبا.



- آخر مؤلف نعرضه هو في الحقيقة نص تناوله بالتحقيق الفيلسوف المعاصر Leo Strauss عنوان هذا النص هو : *Hieron ou le Traité sur la tyrannie* وهو محاضرة – مثل المؤلفات أخرى للفيلسوف Hieron. الطاغية و Simonide, التي يمكن استخراجها من هذا النص :
  - تنور بين القاصر, Hieron.
  - من أهم الأفكار التي يمكن استخراجها من هذا النص :
  - إن الطغاة لا يتمتعون بالذات مثل المواطنين الملايين وذلك بسبب عزلتهم (مثلا مشاهدة العروض المسرحية و غيرها).
  - إن اللثام والمدح لا يمكن اعتياده إلا إذا صدر عن الأشخاص الأحرار.
  - إن الميول إلى اللذات – وخاصة الجنسية – هو الذي يؤدي إلى الاستبداد.
  - إن العامة *la multitude* تخضع لمذاجية الطغيان.
- الخ .....

## 3.2.2. الفلسفة اليونانية في مرحلة الألكسوس

### 3.2.2.1 الأطلون

3.2.2.1.1. حياته : الأطلون ( 427 – 347 ق.م ) هو من عائلة عريقة في أثينا له اجداد ساهموا في الحكم في أثينا واتسمت حياته بمرحلة ابتدأت بتطعمه الفلسفة مع سقراط لكن سيقى ضحمة في التاسع والعشرين من عمره عندما أعدم معلمه. والأطلون سيجعل كل مسؤولية هذا الحدث المولم على النظام السياسي الذي اندحر من الديمقراطية إلى الشعبوية populisme فاصرف في تصور الحاكم المثالي والبحث عن هذا الشخص في مرحلة ثانية.

وخلالها للفكرة الرائدة بخصوص ممارسة الأطلون السياسية لم يكن من الانتهازين الرافعين في التحصيل على المراكز بل كان يقطن عن الحاكم الذي يدهي أكبر استعدادات لرئاسة المدينة الماضلة. وهكذا ستبدأ المسيرة بين القصور و المدن وستكون له ممارسة سياسية في مدينة Syracuse إحدى المستعمرات اليونانية الواقعة على الساحل الشرقي لجزيرة صقلية يحكمها طاجية Denys الأول. لكن سيقبل الأطلون في إقناع هذا الملك وللاج إلى أثينا لإحداث مدرسته الفلسفية وهي الأكاديمية Académie<sup>1</sup> لكنه سيبدأ الكثرة ويارجع إلى Syracuse لمحاولة إقناع الملك الذي خلف Denys وهو Dion وستقبل المحاولة الثانية لكن هذه المرة سيقع الأطلون في الأسر وسيباع في سوق العبيد لكن لحسن حظه اشتراه أحد الإقناع واعتقه. وفي المرحلة الأولى في حياته سينكب الفيلسوف على تدوين هذه التجربة.

3.2.2.1.2 مؤلفاته

يقيم في المرحلة الأولى، إن يتبين الأحداث السياسية. أهمها ما جاء في المحاورات *Les Dialogues*. ثم يأتي في مرحلة ثانية كتب الجمهورية كمؤلف مركزي وهو الذي جرّ العبد لتقييم أفكار الأطلون من خلاله والحال أن ما صدر عن الفيلسوف في مرحلة ثالثة ( السياسي و القوانين ) قد يجبر على تعديل الرأي بما يؤيد أن الأطلون أظهر في آخر مرحلة من حياته نزعة الاحترام لسيادة القانون وترجيح النظام السياسي المعتدل<sup>1</sup>

### المحاورات Les Dialogues

مجالها الأساسي : محاكمة أستاذة سقراط، تقييم الحياة السياسية بإثينا ثم إثارة بعض المسائل الفلسفية. وقد اعتمد فيها الأطلون تشريك فلاسفة وشخصيات عصره Gorgias , Protagoras , Socrate ... Alcibiade ... بصفة خيالية – ليرفض أفكاره على لسانهم. من أهمها ( بدون اعتماد القسمل ):

◆ *Crition* ( طاعة القانون: يتحدث عن سقراط في السجن. عندما عرض عليه الفرار من الموت فوقع أمام خيار رهيب : إما الفرار وبالتالي عدم احترام قواعد المدينة أو الامتنال للقوانين ولو انجز عنه الموت.

◆ 'نفاذا عن سقراط' *Apologie de Socrate* ويدوي فيه محاكمة الفيلسوف وناقح عن نفسه و الأفكار التي طوّرها للحضن الموازية التي حيكت ضده.

◆ *Protagoras* وهو حوار حول الفضيلة (أو الخير) وكيفية بلوغها. وتتمثل الفضيلة في هذا الحوار بالكمال العلم والمعرفة.

◆ *Gorgias* يتعلق بفن الخطابة والتسلط أي ذلك الفن الذي طوّره السقراطيون لكن يستعمل الأطلون هذا الفن لتطوير فكرة العدل واحترام القوانين.

◆ *Phedon* (الموت والخلود): يسرد هنا الأطلون الأحاديث الأخيرة التي حصلت بين سقراط و أتباعه. يقول سقراط إن الفيلسوف الحقيقي هو الذي يريد الموت سعيا منه لتخليد الأفكار التي ناضل من

<sup>1</sup> إلا أنه بالنسبة لسنة 2003 سجع الاكادم أساسا بكتاب الجمهورية.

أجلها. و الموت تحرر الروح من ملقبة الجسد وهو هدف الفلسفة. و مفهوم الخلود هنا ليس للروح بل للأفكار.

♦ المادية *Le Banquet* قد يكون هذا الحوار المشهور قد كتب في 384 ق م . كل واحد من المدعوين لهذه العائبة يطلي برأيه حول الحب و المداخلة المرموقة هي لشخصية Alcibiade الذي يكشف إصغابه بمقارط. و من هذا الحوار جاء مفهوم الحب الألاتلوني للتعبير عن محطة الحب التي تفوق الرتبة الجنسية.

وما هذه إلا عيكات قليلة من المحاورات وهي التي سنتخذ في مرحلة ثانية لكتاب "الجمهورية".

كتاب الجمهورية " *La République* " :  
الملاحظات العلمية :

كتاب الجمهورية يعتبر تنويجا لأعمال أفلاطون السابقة. ويهدف في المناطق إلى نقد بعض الفلور أمر أهمها المنهج السفسطالي – على المستوى الفكري – ثم إلى نقد الأنظمة السياسية على المستوى العملي .  
- في ما يتعلق بالنقد الأول : أفلاطون انتقد أفكار السفسطاليين حول النزعة المادية. فهو يشير بذلك إلى الهدف الذي اجتهد من أجله البعض منهم والمتفعل في الانتهازية السياسية وتمهيد الطريق لبعض الاتباع للوصول إلى السلطة. انتقد أفلاطون ذلك السلوك كما انتقد تلقاهم المشبهه ( بالنسبة للبعض) بالديمقراطية إذ كان Protogoras مثلا يسعى للتأثير على الحياة السياسية دون الخوض في الممارسة.

- أما النقد الثاني الموجه للأنظمة السياسية : انتقد بالأمان الأنظام الديموقراطي المشط *Polutra* الديمقراطي أو النظام الشعبي *populiste* وهو في الحقيقة تنويه للديمقراطية. ثم انتقد أيضا النظام الأوليبارشي وهو حكم الأقلية الثرية المستعدة.

من مميزات كتاب الجمهورية\* هو أن هذا المؤلف كتبه أفلاطون لمساعدة تلاميذه بالأكاديبيا على احترام السياسة في معناها النبيل الذي صاغته الفلسفة اليونانية القديمة. فكان ذلك بتصوير المدينة الفاضلة إذ أن ميزة هذا المؤلف هي الطوباوية التي اعتقدها كمنهج. فما هي؟  
الطوباوية هي تصور خيالي لا علاقة له بالواقع. وهي كلمة يونانية قديمة *Utopia* تعني المكان أو الفضاء الذي لا وجود له. لكن يجب التفكير بأن أفلاطون لم يستعمل هذه الكلمة ولكن نسبت إليه (1)  
لهذاك تمييز بين الطوباوية والمثالية *idéalisme* إذ أن هذه الأخيرة هي الواقع كما يتصوره الشخص و بالتالي فهي تأويل للواقع. إذن فإن المنهج الطوباوي في كتاب الجمهورية ساهم في وضع مكونات مجتمع المدينة الفاضلة.

فما هي الخصائص الفكرية لكتاب الجمهورية؟

نقطة الإنطلي في كتاب الجمهورية تساؤل : ما هو العدل؟

وهو حوار يشير إشكالية قريبة من حوار *Gorgias* (2). إذ أن السعي من أجل العدالة يظهر أن الظلم هو أكثر فائدة من العدل. فالطاعة التي يتكفون السلطنة لا يبالون بالعقوس أو المقدس؛ يسألون المواطنين أمرالهم وممتلكاتهم فهل هم أساس سعداء يتعمشون بالحرية بسبب ما يقتر فونه من أعمال مثنية؟  
مقياس العدل هنا هو -في اعتبار البعض مثل *Thrasymaque* - ما يناسب مصلحة القوى الطاغعي. أما بالنسبة للبعض الآخر مثل *Glaucon* فإن القيام بأعمال ظالمة يندرج في سلة الطبيعة *l'ordre de la nature* ويسل متعة أو سعادة فيما أن التعرض لها يسبق شقاء. والمعلمة تبين أن الظلم يحدث شقاء أكثر مما يؤقره سعادة (358e) لذا أحسن أفراد المجتمع بضرورة وضع قوانين ومساعدات لضبط ما هو العدل والخير.

(1) يستعمل هذه الكلمة هو الفيلسوف الأقبلي *Thomas More* صاحب كتاب صدر في 1516 اسم *"Utopia"* وهو تصور للنظام "الطوباوي".

هذا فضلا عن التعرالي الذي كان قد استمد هو الآخر إلى التصور الألاتلوني.

(2) جدلية العدل والنظام والقدرة العطاية التي يمكن من تفعيل الواحد على الآخر حسب مقتضيات الساعة أو مصلحة الخطيب.

كتابة الحقوق و العلوم السياسية بونيس. مفاكرات من لرون الاستاذ صلاح الدين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، الستة الثانية حقوق

في الخلاصة فإن العمل الذي أشار إليه أفلاطون في البداية هو نتيجة ميزان قوى يُلغضي وجوباً إلى سيطرة الظلم. أما العمل الذي تحققه الفولانيين فهو نتيجة وفاء اجتماعي وتغليب نزعة العقل المشقة في سنها حتى تتطابق مع الخير الذي كان مطموساً.

ما هي المدينة الفاضلة ؟

— مسألة المدينة الفاضلة عند أفلاطون تتطرق من صمومية تحقيق العمل الذي يصبو إليه. فالعمل لم يكن متوقفاً في القول القائمة في ذلك العصر وبالتالي فإن الذي يسوقه هو في الحقيقة مثال عقلاني.  
— وبالتالي فإن هذه المدينة الفاضلة هي الإطار الضروري لعملية العمل قصد بلوغ الخير والفضيلة.  
فمن سيحكم هذه المدينة الفاضلة؟ هنا أفلاطون يقترح حيلة سياسية واجتماعية :

في المرتبة العليا هناك حكام المدينة الفاضلة و هم الحراس المثاليون ثم في المرتبة الثانية هناك فئة المدافعين.

وبالمقارنة فإن الحراس المثاليين هم أشخاص تجاوزوا وظيفة الكفاح وذلك بإتقان الفلسفة. وفي المرتبة السفلية هناك الفئات الشعبية وحسب أفلاطون فهي جماهير الأثريين والحرثيين والتجار.

النظام في المدينة الفاضلة يقوم على احترام هذه البهكلة الاجتماعية كاحترام القوانين وبالمناسبة يتعامل أفلاطون عن ظاهرتين في المجتمع : ظاهرة المجموعة التي تقابلها ظاهرة الفرد، فما هي الظاهرة المسيطرة على الأخرى؟<sup>1</sup>

النظام الشطوني

◆ الهدف منه :

بتطلعا من مسألة العمل وضرورة إقامة مدينة فاضلة لتحقيقه ( والأمر يتصل في النهاية بتغليب نزعة الخير ) يعمل أفلاطون إلى ضرورة وضع نظام تعليمي للعرض.

فالنظام الذي اقترحه أفلاطون — والذي جعل منه مصلحا réformateur للتعليم اليوناني — هو نظام يقصو 'مظاهر الإحلال' مثل الشعر؛ والإشارة هنا للمؤرخ Homère — صاحب الإبهزة — ثم لأسلوب التراخيبيا اليونانية tragédie grecque إذ يجب عليهم الفيلسوف توظيف الآلهة كاملة للشعر بما في ذلك من كذب وخصه. وهو ما ألبمه القيار المكسطلالي الذي اتخذ هو الآخر من الشعر وسيلة لتعريف موهج الخطاب اللبقراطي في ظاهره لكن الاستبدادي في باطنه. فالذي يحدّه الأفلاطون هو صنف آخر من الشعر يقرب من الفكر invocation de Dieu، ذلك الذي يمدح الآلهة وأمل الخير بهدف تحقيق السعادة في الحياة الدنيا ثم بعد الموت.

وما هذا السعي إلا لتطوير الفلسفة من أجل المعرفة. وهي فلسفة تتبعد عن الأسطورة وتقترب من الواقع باعتماد 'المقياس' la mesure أي الشيء الذي يقاس عليه وهو الواقع في مختلف مظاهره .

◆ المراحل :

— بداية من السنة السادسة أو السابعة يقع اختيار الطفل الذي ينتسب لأسرة المواطنين فودخل في التعليم إلى حد سن العشرين وهو تعلم وترريض يتناول التكوين الجسدي والروحي. يتبدى بالرياضة وينتهي بالخدمة العسكرية وفي نفس الوقت يعتمد تلقين الفنون وبالتحديد الموسيقى وحمل الصبي على اعتناق الجمال المطلق للفن. لكن يحتر أفلاطون من مظاهر الانحلال والزخيلة الكامنة في الشعر المتصل بالترف.  
— وعند بلوغ سن العشرين هناك عملية انتقاء والتأجرون يواصلون التعليم إلى حد سن الثلاثين وهي المرحلة التي يُعلم فيها الرياضيات وبالتحديد الهندسة وعلم الفلك ومختلف العلوم التي تتفتح الطريق نحو بلوغ فكرة الخير<sup>2</sup>.

— في سن الثلاثين، انتقاء آخر ومرحلة تنتهي بعد خمسة أعوام بتعليم الجديّة. فالى هذا الحد ينتهي تكوين

<sup>1</sup> إن مثل هذا التعمول ويخترط في إنكاليات فلسفية حديثة أثيرت منذ أن وضعت المحطات الأساسية للفكر الصوفي الإسلامي (حسب الفيلسوف ابن عربي في تحليله لظاهرة الأعراف) ثم تلاشت مع بداية المصهور الحديثة في الغرب منذ القرن السادس عشر و التي تتأقضا التقصّرات الكلاسيكية الاستبدادية التي تتكلم المجموعة على الفرد.

"المجد العيون".

– في المرحلة الأخيرة – بداية من الخامس والثلاثين – سيتعلم الناجحون وهم " الجاليون " Les Dialecticiens أسراراً تتعلق في تربية تطبيقى بالرجوع إلى الكهف.

أمثلة الكهف :

ربما كانت لهذه الأسطورة التي اشتهر بها كتاب الجمهورية مرات مرتبة سياسية تتجاوز المستوى "المدرسي" المهور لدى عامة القراء. كما يعرف الامتحان الغريب الذي لرض على هولاء الأشخاص الذين يحاولون التعطش إلى مابوية الأشياء بالنظر إلى اشباحها التي تتمكن في صق الكهف. ربما تكون هذه الصورة الرائعة قد استلهمت من الحكمة الشرقية القديمة لكن يبقى من الثابت إنها تتجاوز ملولها الظاهر. فالهدف من هذا التريض هو تمكن المتعلم (الرجل السياسي) من التغيير بين الأشباح والحقيقة إذ إن الامتحان ينهي عنده أقصى قدراته الذهنية في سهل معرفة الحقيقة انطلاقاً من إنكاس الأشباح على داخل الكهف. وربما هذا أمر درس فلسفي سياسي لكتاب الجمهورية. إذ إن معرفة العالم عبر التمكن من الظواهر النظرية تطوّر لدى الساعي من وراء الحقيقة نزعاً القصري وتجلب القسرح أو القسرك بالأفكار الراسخة التي يتحلّى بها الحكام المستبدون.

وفي كتاب الجمهورية اعطارات ثانوية – ولو أنها كانت في الصدارة في دراسة أفلاطون خلال المقود الأخيرة – وهي شوعية الممتلكات وشوعية النساء ( يتمتع بها الحركس المثلثون ) ثم مسألة الخبار بين الكمال والفساد التي وردت في محاورات أخرى.

Aristote 3.2.2.2

3.2.2.2.1.النبيرة الآتية

ولد أرسطو في 384 ق.م في Stragire وهي مستعمرة يونانية في مقاطعة Thrace . والده Nicomache كان طبيب ملك مقدونيا اميناس ( الثالث ) Amyntas III وفي انقلاب على حفيد هذا الأخير Amyntas الرابع الذي كان صغير السن، تمكن Philippe الثاني وهو ولد الإيمكندر من اقتلاك السلطة. وكانت أسرة أرسطو في معظمها مولعة بالطب وهو ما يقتر احتراف أرسطو لهذه المهنة في بداية حياته ولو أن بعض الروايات الحديثة والحديثة بعيد أنه لم يكن طبيباً بالمعنى الكامل.

لكن حوالي سنة 343 ق م طلب منه الملك فيليب الثاني السهر على تربيته إنه إسكندر – ومنذ السابعة عشر من عمره كان أرسطو قد التحق بأكاديمية أفلاطون وترغم بعض الروايات أن خلاقات ظهرت بين الأستاذ وتلميذه لكن في كل الحالات فإن أرسطو كان يقن الإحترام لأفلاطون.

وبصفة عامة فإن المحللين اعتبروا أن بين الشخصيتين كانت علاقة تكامل وليس مواجهة (أو قطبية) وذلك بالرغم من حرص الأباغ على إبراز الاختلاف بينهما.

بخصوص مؤلفات أرسطو فهي متعددة أممها : الميتافيزيقا *Metaphysique*، الفيزيا *Physique*، السياسة *Les politiques* الروح *De l'Âme* ، *Organon* ، *Nicomache* ، *Ethique à Nicomache* *L'* تكفي بالكر أن البحوث المصممة استنتجت أن مؤلفات أرسطو هي في الحقيقة نصوص جماعية شارك فيها الفيلسوف وتلاميذه إذ أنه كان إثر نقاشات يقدم ملاحظات هولاء في النص الأصلي الذي كان قام بكتابته قبل إلقاء الترس.

## 3.2.2.2 فلسفة أرسطو السياسية . المحاور .

### ♦ أولوية السبيلسي :

في بداية مؤلفه *Nicomache Ethics* يشير أرسطو الى أن كل منتهج، كل نشاطه، كل خيار من شأنه أن ينجح نحو تحقيق " بعض الخير " *quelque bien* وهو في رأيه هدف علم السياسة. فهذا إقرار بشر الجدل عند المختصين وكان أرسطو يفضل علم السياسة على الفسفة وبالتحديد الميتافيزيقا.

وإذا علمنا في هذا الجدل نجد الفيلسوف المعلم قد أسند للإنسان منزلة قصوى فأحاطه بعلم السياسة وبالتالي فإن الاعتبارات الأخرى وأهمها علم اللاهوت أو العلوم الربوبية ستحتل بحكم هذا التفضيل منزلة دون علم السياسة. فبالنسبة لأرسطو إن البحث عن خير الإنسان يوق اللاهوت قيمة ولو كان بدرجة. وبالتالي فإن هذا للطرق الأرسطي لمسألة الإنسان يمكن اعتباره تلميحياً في صرح العلوم الحديثة ولا فائدة في نمته بالموقف العلماني أو الإلحادي بل أنه قد فصل قبل الأوان بين المجالين الإلهي والكنوي فاعتبر هذا الأخير ذا أولوية في المساعي الإنسانية.

وهنا يتجلى الجانب العملي في فلسفة أرسطو إذ إن الإنسان بحكم نسوية (عكس اللاهوت) لا يقدر إلا على مراعاة وضعه وبالتالي تطوير علوم للعرض. أما اللاهوتي وهو ما يوقه قدرة واختصاصا فهو من مضمولات العلوم التفرعية. فيصبح الإله في وضع مغارقة : في منزلة علوية بدرجة لا تسمح للإنسان وبالتحديد الفيلسوف بحكام المعرفة به. وبالتالي فإن على الإنسان في مجال اللاهوت أن يعطى عن الجزم والإقرار و بالتالي تتقلب علاقته بخالقه لما هو ممكن أي لذلك للترابط الزوطني الشخصي الذي لا يلزم الخير. أما السبيلسي فهو كما قلنا واضح وملوس فهو يحضى بالنشاط الإنساني، وإمكانية وضع الأماط وطرح التصورات.

### ♦ السبيلسي يتجلى في الملوس الوفاقي :

الإنسان هو دائما في جهل حقيقي (أو في معرفة شعورية) للسر الزباني فلا يمكنه إلزام غيره بما يترأى له في هذا المجال. أما في الميدان السبيلسي / الإجتماعي فهو في وضع بحث عن المصلحة الخاصة به. أما أنه فعل ذلك بانتهاج الحوار فتعكس من إقامة نظام تعاقدي، ديمقراطي، أم أنه فعل ذلك خصبا عن غيره لتحقيق مصلحته وحتى في هذا الوضع فإن سلوكه يتطلب التمسك والقطعة والإحس ككل شيء. وهذا شأن النظام المعاني للتيمقراطية والحوار الذي يتطلب هو أيضا التمسك في علم السياسة بما هو ملوس لخلاف الملحم اللاهوتي - إلا أنه بالنسبة لهذا الطرح الأخير فإن النظام السياسي الذي لم يتحصل على موافقة الآخرين هو في آخر التحليل في وضع من يسمى السر الزباني : أي أنه يجهل جانبيا أسلميا من الحقيقة فيخرج من الإطار العملي لعلم السياسة ويمارس الصنط لمجانبية المجهول.

هذا إن ما سيجعل أرسطو - تفضيلا لممارسة علم السياسة في المجال المرورف - يختبر النظام السبيلسي المعكول الذي يسمح باعتقاد حد أدنى من الحوار والوفاق من التحكم في المعطيات السبيلسية - وهو ما ستراه لاحقا.

كل ذلك لأن الهدف المقصود بالنسبة لأرسطو يبقى تحقيق السعادة وهذه السعادة لا تتحقق إلا بالتوفيق بين مصلح أفراد المجموعة.

### ♦ مهتمس السبيلسية :

وفقا لهذا التصور العملي، الوفاقي، سيختار أرسطو مهتمسا للسياسة خلافا لأفلاطون الذي اختار الحرقي في التسج *tisserand* (الحائك التساج). وهذا الاختيار المخالف يميز هو الآخر عن اختلاف في الرؤية إذ يرى بعض المحققون أن حثاك أفلاطون يفرض على المجموعة علم ومعرفة الفيلسوف الملك *savoir du philophe-roi* وبالتالي فإن هذا العلم لم يتفق عن المجموعة بل وقع تنزله عليها مما قد يؤدي إلى احتمال عدم اعتبار مصلحة المجموعة كما يجب ومن هناك الوكروخ في النظام الاستبدادي. أما مهتمس أرسطو فهو يسمم مثاله وفقا لحوصلته لجميع المعطيات أي مصلح المجموعة، ويكون بذلك قد اقترب أكثر ما يمكن من الأسلوب التعاقدوي الجماعي المستوحى من اللاهية التيمقراطية وهو كقول بتحقيق سعادة الجميع.

الخلاصة على هذا المستوى هي أن أرسطو أراد تعيين أو وضع نظرية قواعد الإقناع كقن *regles de la persuasion*.

كتابة الحقوق و العلوم السياسية بترنس. محركات من دروس الامتياز صلاح الدين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

◆ كتاب السياسة *Les Politiques*  
 ينطلق هذا المؤلف من إرث أرسطو في النزعة التمهيدية، فالإنسان هو كائنات مخلوقات الأخرى ويتميز بزرعة طبيعية للتأمل لكنه يفوق هذا المستوى بالانضمام لإطار الحياة الاجتماعية / السياسية. وهنا تظهر اللامعة العملية الفلسفية pratique philosophie لأرسطو إذ إن هذه الحياة المدنية تتجلى في ظاهرتين أساسيتين :  
 الفضيلة والامتور المثالي.

#### — الفضيلة *La vertu* :

ويسمىها أرسطو *areté* وهي الامتور أو الطبع المعتدل في كل ظاهرة. وهذه الفضيلة تدخل في طبيعة الإنسان وذلك إثر ممارسة طويلة بفضل عوامل مثل : الاعتدال *moderation* والتغلب على الذات *la maîtrise de soi* ومثل هذه العوامل تسمى لتحقيق السعادة *Eudaimonia* .  
 ولتحقيق الفضيلة تلعب التربية دورا هاما. مثل الأباطون يعتبر أرسطو أن التربية لها طابع سياسي وهذا يعني أن الفضيلة هي ظاهرة سياسية في حد ذاتها. فهي تتم عند الإنسان الذي يبدى استعدادات الميول في الإطار المدني، وهذا يعني أن أرسطو لا يفضل النظرية التعاقدية للترابط الاجتماعي إذ إن المسئلة هي مسألة استعدادات فطرية من عيها. وهو ما يفتر أن أرسطو يفنى عن بعض المجتمعات البشرية قدرتها للتعايش في الإطار المدني مما يجعل منها مجتمعات متوحشة. فالمجتمع الذي تتوفر فيه شروط المدنية هو الذي يمكنه تحقيق الامتور المثالي.

#### ◆ الامتور المثالي :

بالنسبة لأرسطو كل مجتمع مدني أراد المعتدلة إلا وعليه وضع دستور مثالي *politeia*.  
 كيف يتحقق ذلك ؟ ينطلق أرسطو من فكرة بسيطة هي أن الملك الطيب هو الذي ينجح في نشر الفضيلة في المجتمع. وبالتالي فهو يحفز قومه بنفسه لأنه سيخلق مجموعة أو أقلية لكنها هامة من حيث العدد تكون قد ضفرت بتلك الفضيلة. وبالتالي يصبح الوضع غير عادل إذ كيف يمكن الاستمرار في طاعة شخص واحد والحال إن هناك من بلغ درجته في التمتع بالفضيلة.

فالحل يكون في إسناد دور قيادي لهذه الأقلية فيصبح حكم الأرستقراطية *aristocratie* وتسمى باليونانية القديمة *les meilleurs*. وهذا النظام هو نظام الأقلية المتميزة أو المتفوقة هو بمثابة النظام الدستوري عند أرسطو الذي يتطوّر إلى نظام ديمقراطي بتضمين الفضيلة على الأكثرية :  
 والنتيجة هي أن أرسطو قد قام بتحديد ثلاثة أنواع من الأنظمة الصالحة، مؤسسة على الفضيلة.

- النظام الفردي : نظام الملك الحاكم،
  - النظام الأرستقراطي : نظام الأقلية المتميزة / المتفوقة
  - النظام الديمقراطي : نظام الأغلبية الممتلئة للفضيلة.
- ويقابل هذه الأنظمة الثلاثة أنظمة فاسدة فقدت مميزات الفضيلة أو الصالح العام :

- بالنسبة للنظام الفردي : النظام الطغياني.
- بالنسبة للأقلية المتميزة : الأوبار شية *Oligarchie* المتعطرسة
- نظام الأكثرية الموحسن على التواضع والديمقراطية : النظام الشمبوي أو الديمقراطية المشطلة.

أما عن تأثير أرسطو على الفكر السياسي :

اعتبر عتقيا منذ العصور القديمة. الفيلسوف الروماني *Cicéron* نعت بالفيلسوف العقري. كان له الفضل في تطوير العلوم والبحث العلمي مثلا في مدينة الإسكندرية منذ القرن الثالث ق.م. ثم في العصر الوسيط اهتم به فلاسفة المدرسة الكلامية الغربية scolastique مثل *Albert le Grand* و *Thomas D' Aquin*. ثم منذ بداية العصور الحديثة أصبح أرسطو رمز الفكر المعتدل و الرافض للقاعات الراسخة (انظر مرجعية الفكر الأرسطي في نظرة المدرسة الليبرالية – و بالتحديد *Raymond Aron* – لمسألة الإيديولوجيا).

كلية الحقوق و العلوم السياسية بپرس. مذكرات من درس الأستاذ صلاح الدين بن صيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

## 4. الفكر السياسي في الإسلام

من المستحيل أن نتناول هذا المجال بأكمله ومن السير أيضا أن نمتنع لتهات القضايا المطروحة فيه. وبالتالي يتعين رصد الخصائص التي يقدم بها الفكر السياسي في الإسلام بدرجة إثباتا تمكن في آية صورة من طرح مقبول. بهذه الصفة سوف تقتصر المراجعة على نوعية تلك الخصائص ولا في ما يتعلق بحجم المسائل المطروحة. ففي نظرتنا يقسم الفكر الإسلامي في شموليته بـ"أزمة التأسيس" وعلى طول المسار بصعوبة اجتياز حاجز الستينية.

### 4.1. المرحلة التأسيسية

تتمثل هذه الأزمة في مغارقة تتمثل في أزمة المسئلة من جهة، تقابلها (في القرن الأول والثاني للهجرة) حركة مدّ لفكري.

#### 4.1.1. أزمة المسئلة

إن أي تطرق للمسئلة التأسيسية في الإسلام يستوجب عرض هذه الأزمة التأسيسية التي تقف بدورها التفسيرات الإشكالية السطحة ولكن ما هو متعمل بها من ظواهر كالسيادة والحكم وأنكالت التعامل مع المحكومين الخ... في تاريخ الإسلام تتمثل هذه الأزمة في التصدع الذي ظهر في مداوات سقوية بني ساعدة ثم تعمق مع الفتنة الكبرى.

#### 4.1.1.1 - مداوات سقوية بني ساعدة

ورد عن د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و اللذيني و الثقافي و الاجتماعي، بيروت / دار الجيل، القاهرة / مكتبة النهضة المصرية، 1996 (4 أجزاء) ، ج 1، ص 168-169:

« لم يوص الرسول بزعامة المسلمين لأحد من أصحابه، بل ترك مسألة الخلافة شورى بينهم. فلما نظائر ذميه اجتمعت الانصار في سقوية بني ساعدة في المدينة، و ارادوا أن يبايعوا بالخلافة رجلا منهم، هو سعد ابن عبادة سيد الخزرج، فحضر إليهم نفر من المهاجرين، و قد يقوم بين هؤلاء و هؤلاء خلاف شديد، لولا أن قام بينهم أبو بكر خطيبا، و أدلى لهم بالحجة على أن هذا الأمر القرش و أن وليته الخزرج أن تقض عليها الأوس. فرأى بنو الأوصار ما كان بينهم في الجامعة، و أن الأمر توشتك أن تعود إلى مثل ما كانوا عليه من عداوة، فلما ذكر الأوصار أن وليته الأوس، و أن تقض عليها الخزرج، فغضب عبيدة الجراح، فغضب عمر أن يترك الناس اطمأنوا إلى رأي أبي بكر، فعرض عليهم مبايعة عمر أو أبي عبيدة الجراح، فغضب عمر أن يترك الناس ليختلفوا على أنفسهم و يضيع الأثر الذي أحدثه كلام أبي بكر، فقام إلى أبي بكر و بايعه بالخلافة<sup>1</sup> و قال له «والم يأمر اللهني بأن تصل أنت ي أبا بكر بالمسلمين؟ فالت خليفته و نحن نبيئك فنباع خير من أحبب رسول الله منا جميعا». و قد يلعب عمر و أبو عبيدة أبا بكر و سبقهما بشير بن سعد، ثم تتابع المهاجرون و الانصار ببايعة، و تسمى بيعة السقوية بالبيعة الخاصة لأنه يبايعها إلا نفر قليل من المسلمين هم الذين حضروا البيعة. فلما كان الغد جلس أبو بكر على المنبر في المسجد و بايعه الناس البيعة الكبرى أو الجامعة»

في نكده وواقع هذه الحادثة يستند هذا المؤرخ المعاصر لمصادر الاختيار التي امتد بذلك العصر وهي كلها على اتفاق في ما يتعلق بم حصل في السقوية و مفادها أن المهاجرين سارعوا برده الانصار عن مشرورهم و لم يقبلوا أية مسالمة: إذ أن مقترح: "منا أمير وملك أمير" الانصار قبول من طرف المهاجرين بما لا يترك

<sup>1</sup> ابن حنبل: ج 4 ص 335-339

مكتبة الحقوق و العلوم السياسية بوليس، محركات من دروس الاستصلاح للشيخ ابن عبيد  
تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق



مجالات القتال إذ أجاب أبو بكر : " ما الأمراء ومكّم الوزراء" أما عمر فقد اضاف مُحكراً إن العرب (في مختلف أنحاء الجزيرة) لن تقل بخليفة أبين من بيت الرسول وهو ما يدلّ عن واقعية سياسية كان من الصعب تجاهلها. فلذا استحضرنّا ما كان ينتظر سلطة الخلافة في ما بعد - أي ردة عدد من القبائل بالترغم من مبايعة خليفة قرشي الأصل - تكون قد تأكدنا من ترجيح هذا خيار.

لكنّ تعقل الأوصار وتليب الواقعية من أجل الحفاظ على كيان لغة الإسلام القائمة لم تجلب من أحداث تصدّع لا سيما وإنّ فريقاً ثالثاً من أسرة الرسول نفسه يتقدمه على ابن أبي طالب لم يحصر البيعة وربما شعر بعدم مراعاة وجوده<sup>(1)</sup>.

لا شكّ أنّه - أمام ما أرمى به النصّ التأسيسي خصوصاً في باب الثورى - يعتبر هذا الأسلوب في اختيار الخليفة مناهياً للمبادئ الأساسية في الإسلام وهو ما يفسّر سلسلة الاضطرابات المولوية : من مقتل الخلفاء الراشدين وصولاً إلى الفتنة الكبرى.

#### 4.1.1.2. مقاومة السكّطة منذ الفتنة الكبرى<sup>2</sup>

إنّ اهتمامنا بهذا الحدث التاريخي يتصل بمسألة محدّدة : هي إنّ الأزمة التأسيسية في هذا الطور متوقّدة إلى التشنّك في شرعية الحكم الإسلامي منذ نشأته وبالتالي إجهاره على فرض نفسه بأساليب الخلافة الوراثة والتحلّفات المرئية الغربية عن مبادئ الحكم في الإسلام التي تنحدر من روح الرسالة (ليس من منظرها كما يبيّه العديد<sup>(3)</sup>). وأصدق صمورة عن هذا التشنّك في السكّطة هي مناقضة العديد من الفرق لها وبالتحديد نوع من المقارمة بدأ في ذلك العصر - تحديداً مع الخوارج - ولم يتوقف بعد إذ يتواصل إلى حدّ عصرنا هذا عبر ظاهرة "الإسلام السياسي".

#### 4.1.2. حركة الفكر

إلا إنّ هذا التصدّع لم يمنع من بروز و تطوّر حركة فكرية/علميّة بانفت أوجها في العصر العباسي الأولى. ففي البدء أي في عهد الإسلام المبكر ظهر مجال الفكر مستقلّ عن العقيدة، تزامن مع المستويات الأولى للفتوحات. و الجدير بالملاحظة هو أنّ السكّطة الإسلامية في بدئيتها - يقتضها أمراء جيوش الفتوحات - لم تر حرجاً في تطوّر الفكر خصوصاً على يد عناصر غير مسلمة منتقلة في نشاط مدينة حرّان، في دور المسيحية ثمّ في الترجمة "المبائية" وفي التريب.

#### 4.1.2.1. نشاط مدينة حرّان .

مدينة حرّان هذه هي الواقعة جغرافياً في إحدى مناطق شرق الأناضول الحالية لبلاد العرب (تشمّل سورية و العراق اليوم) عرفت لرددها فكرياً لم يمارضه الإسلام بما يهدّد وجوده. بل بالعكس فقد تعاملت السكّطة الإسلامية القائمة بإيجابية مع نشاط حرّان. والجدير بالقول أنّ الفكر الذي تطور في هذه المدينة منذ عهد سابق للإسلام (ثمّ زامنه) هو فكر مختلف الرقائد والموضوعية كقدرات فكرية أخرى تنسب لليهودية وللمسيحية. ثمّ إنّ مدينة profane المعاداة للتقاليد اليونانية والموضوعية كقدرات فكرية أخرى تنسب لليهودية وللمسيحية. ثمّ إنّ مدينة حرّان هي مسكّل الصهبة الذين أتى ذكرهم في القرآن " ابن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " المقادّة 69 . كذلك : البقرة 62 والحج 17 وهي فئة جمعت بين التوحيد ومعتقدات مستلهمة من علم الفلك. يقول المستشرق Henri Corbin إنّ الصابئية جمعوا حولهم معتقدات فلكية كلدانية وعلم الرياضيات ثمّ مراجع روحانية مستوحاة من التوحيد البيثاغوري والأفلاطوني : Néo pythagoricien et néoplatonicien .

(1) انظر تاريخ الطبري

(2) انظر لاحقاً

(3) انظر على عبد الرزاق " الإسلام وأصول الحكم " 1925  
كلية الحقوق و العلوم السياسية بوزنيس . منكرات من درس الاستقلال صلاح الدين بن عبد  
تاريخ الفكر السياسي، السكّة الثانية حقوق

وهذا ما جعل فرقة الصائبية تشتهر بالترجمة (ترجمة الآثار اليونانية ...) أشهر المترجمين عندهم : ثابت ابن قرة ( 826 – 904 م). ومن نكر آثار صليبة حران وأهمية حركتهم هو ابن النديم (متوفى في 905 م) في مؤلفه "الفهرست" الذي نقل فيه عن الكندي حكمه عليهم (أي الصائبية) بكونهم طلة تعتقد في التوحيد. ثم ما أورده عنهم أيضا المسعودي (متوفى في 956 م) بخصوص تعطلي الحكمة ومختلف العلوم. أما بالنسبة للكاتب ( متوفى في 1276 ) فإن الحركة الفكرية في حران تشبه تلك التي نشطت بعد قرون في جامعة الشربون بباريس حتى سمت الكنيسة لعنتها. وبالرجوع لمصادر متعددة تمكن المؤرخون من رصد ذلك النشاط الفكري المتعدد حتى بداية العصر العباسي ( 750 ميلادي) إذ استغل الأمور إلى بحداد (في القرن التاسع ميلادي) ثم إلى نيسابور. لكن قبل ذلك يرجع الفضل لحران في تشكيل المحطة الانتقالية للفكر بين الروان القديمة والعصر العباسي، وهو ما يسمّى بـ *translatio studiorum* أو تداول الحضارات على العلوم والمعرفة. انظر بخصوص كل هذه المعطيات:

De Libera Alain : *La philosophie médiévale*, Paris, PUF, 1994.

#### 4.1.2.2. المسيحية

نفس الوضع بالنسبة للأوساط المسيحية في الشام وبلاد فارس. كان لها في البداية لاقه إيجابي لدى السلطة الإسلامية. ويصرح المؤرخون أن بعض فرق المسيحية مثل *Nestorians, Jacobites* خيرت منزلة أهل اللغة في دار الإسلح بدلا عن الولاة للإمبراطورية البيزنطية. وبذلك استطاعت الفرق الفكرية المسيحية أن تلعب دورا هاما في الفلسفة الغربية الإسلامية منذ القرن السابع حتى نهاية القرن العاشر ميلادي. من أهم الإضافات التي أتمتها المسيحية في ذلك العصر الأول للإسلام : المؤلفات العلمية والعقيدة بالخصوص. ثم الفلسفة المعرّفة في اللغة الميريغية *syriaque* التي اعتبرت في ذلك العهد تفسيراً لمنطق أرسطو .

– فالذي يفتر إذن ازدهار الفكر المسيحي في دار الإسلح هو القمع البيزنطي باعتبار أنّ دولة الروم آنذاك دخلت في أسلوب الحكم الإقطاعي المميز للعصر الوسيط الذي يفرض الاستبداد كنظام حكم. ومن جملة المسيحيين أنصار الفكر أو أصحاب العقيدة المستيرين الفارين من مناطق القوزد البيزنطيين القادمين نحو أقاليم الخلافة، من أقام الأديرة من وراء نهر الفرات. فأصبحت هذه المعال ( مثل قنشرين *Qeneshrîn* أي بكر النصور) قواعد أساسية للفكر المسيحي اليوناني بعد الفتح ( 637 ميلادي ) تكاثرت فيها ترجمة الفكر والفلسفة مثل أعمال أرسطو . و من أشهر الشخصيات في ذلك الإطار " جورج العرب " *Georges des Arabes* وهو قديس البو المسيحيين في بلاد ما بين نهرين ( توفى في 724 م)<sup>(3)</sup> . ثم يوهناq المشيقي *Jean de Damas* المورود في 675 م وهو منحدر من أسرة موظفين (في الأديارات) خدمت تحت أمراء الفرس المسالين ، ثم تحت حكم هرقل عظيم الروم ثم معاوية أول خلفاء بن أمية. من جملة ما كتب :<sup>4</sup> جدال بين مسلم ومسيحي<sup>5</sup> وهي مناظرة (تسمى باللاتينية *disputatio*) وقد اشتهرت المناظرات وتكاثرت في ذلك العهد منذ المناظرة المشهورة بين بنيامين قديس الإسكندرية وعمر و ابن العاص في سنة 643 ميلادي. ومن السورال التي شجعت على المناظرات ( وهي دليل عن حرية النقاش في ذلك العصر الممتد من القرن السادس إلى الثامن ميلادي ) هو عامل اللغة العربية التي كانت لغة الفكر وبالخصوص لغة الجميع. مع العلم أن هذه المناظرات لم يقع قلوبها في بيزنطة في القرن التاسع. أما العرب المسيحي فلم تتحقق فيه هذه الحركة إلا بداية من القرن الثاني عشر ميلادي و باحتمام نظرا لرعاية الكنيسة ثم بطشها من خلال محاكم التفتيش.

#### 4.1.2.3. النطق العباسي

وبالتحديد مرحلة التأسيس في هذه التولة أي العصر العباسي الأول من 750 إلى 861 ميلادي. تكثفت في هذه الفترة بتقديم بعض المعطيات عن ذلك النقع وهو ما يوافق تنظيم فضاه عربي إسلامي للفكر والفلسفة وذلك باختيار بغداد كعاصمة له.

1- وجود استراتيجيّة للتولة.

• من الإجازات المؤسّساتيّة : بيت الحكمة

(3) إن " بعض الفكر " المهوس في عصرنا يروج إل تعيب هذه المرحلة المسيحية.

كثيرة الحقوق و العلوم الشيعية بنوفس. منكرات من نروس الاستناد صلاح الدين بن عبيد تاريخ الفكر العباسي، السنة الثانية حقوق

وهو تعيين عن وعي واعتراف الساطلة العباسية في العصور الأولى بأهمية الفكر ومركزية إشباعه. كذلك توطين المؤسسة الفكرية بعناية ورعاية الساطلة السليمانية : برهان لتضيح وارتقاء العمل السياسي المتمثل في توطين الفكر في خدمة الإمبراطورية السليمانية.

• ثم إن من خصائص تلك العصر هو ممارسة اللغة العربية كافة الفكر والفلسفة : ميلاد فلسفة عربية بالمعنى الحقيقي للطاهرة. ثم تعريب الفلسفة أو خلق (إبداع) فلسفة باللغة العربية : حركة تكل أيضا عن إيجاد سياسة عقلانية للخلافة العباسيين تميز عن ظهور "الوظيفة الإيديولوجية للفكر" إذ إن ممارسة الفكر والفلسفة أصبحت من مشمولات ديوان الخليفة وليست نشاطا محضورا أو خفيًا يحتمى بالأبيرة أو معازل الجماعات الفكرية. هذا على الأقل فيما يخص هذه المرحلة الأولى.

## 2- الترجمة والتعريب

— الترجمة : تطوّرت منذ عهد الخليفة المنصور 754 – 775 إلى الخليفة المهدي 775 – 785 : وهو عهد الدفع أو الإقبال. الفكرة السياسية ذات أهمية استراتجية هي تكريس لحديث لرسول الله : " من تعلم لغة قوم آمن شركم " لكن الإهتمام يترك هذا المعنى لترجم التعمور بالقوة الذي يرتقي للكونية ( وهو ما يقسم به الغرب اليوم).

و مهمة الترجمة أبعثت بالأساس بعمدة الفلاسفة والمفكرين المسيحيين منهم حنين ابن اسحاق. وإسحاق ابن حنين ، حجاج ابن مطر وحيي ابن اليطريق... اشتغل جميعهم في بيت الحكمة.

والترجمة أحاطت بأهت الكتب اليونانية مثل كتب أرسطو. أما كتب افلاطون فلم تقع ترجمتها بذاتها ولو أن ابن النديم يروي بعض الترجمات الأصلية مثل كتاب التوازين على يدي حنين ابن اسحاق وابن عادي. لكن وجدت ترجمة لكتاب الجمهورية إذ أن الفيلسوف ابن رشد استعملها فيما بعد.

والراجع أن بعض الترجمات نسبت لافلاطون والأرسطو. مثل كتاب "الزواج" لافلاطون "Tétralogie de Platon" وهو من ترجمة صليبية حرّان.

و أشهر ما وقمت ترجمته في ذلك العصر هو كتاب : كلام في مهد الخير. *Livre des Causes ou du bien* وأشهر ما أوصف هذا النشاط لترجمة الفلسفة في بغداد. فهو وثيقة مركزية من نصوص مختلفة نسبت للفلسفة. ويعتبر المورخون إن ترجمة هذا الكتاب تمثل عملية تطويع الفلسفة للتوحيد الإسلامي، والحقوقة أن الكتاب يتبر عن تداول الثقافات والمعتقدات في ذلك العصر ( فالكتاب ترجم حتى العبرية من طرف الفيلسوف اليهودي يهودا ابن موسى ابن دنيال رومانو. والغريب أن الكتاب لم يؤثر على كبار الفلاسفة (الفارابي، ابن سينا، ابن رشد وحتى الكندي المعاصر) . وكان " غيلان " اللغاط الكروي حثّ البعض على شيء من " الإبتكار". وقد وصل ذلك النشاط لترجمة إلى الغرب الإسلامي (المغرب و الأندلس.

الإستنتاج : لقد حصلت فعلا ترجمة ورائد فلسفية (ولو كان ذلك ببعض التصرف تمثل في إحام مطليات خاصة بالإسلام وتصرفت في أسماء المؤلفين و عناوين المؤلفات

أما تعريب الفكر فهو ما يشابه الي حدّ ما استشراف اليوم *Orientalisme*. فعلاوة عن الإتصال بالمصادر اليونانية والمسيحية المختلفة بدأت عملية الإرساء بالمغرب الإسلامي، في قضاء بعدد عن استيراد الحضارات الشرقية وروحانياتها وبالتالي كريبا من القضايا الفكرية الأوروبية التي ستصبح الحديثة فيما بعد.

فهو صنع الفكر والفلسفة في مجتمعت الإختلاف ( البربر المسيحيون، الإسبان، ليرة جنوب فرنسا...). وسيكون لهذا التعريب الفضل في إشباع قرطبة في الأندلس و القيروان في عصر الأغالبة. هذه المرحلة تعدّ مقارفة في حدّ ذاتها إذ إن التولة الإسلامية مستغل في ميدان الفكر والملم وتمطي دفعا مثلا. إلا إن ذلك الإهتمام سينقلب على نفسه ويحدث تراجعا سببه توقف آية الإنتاج الفكري من جراء خروج المشروع السياسي العربي الإسلامي آنذاك من المسار التاريخي. ومن ثمّ يتعدى محنة الفكر كتعبير عن التقهقر المستمر : اضطهاد الفرق والجمعيّات الفكرية ( مثل المعتزلة في وقت ما وإخوان الصفا ) إعدام المفكرين وأصحاب الرأي الحرّ ( الحلاج في 922 ميلادي، السهروردي في 1191 ميلادي) الخ...

كثيرة العقوق و العلوم السياسية بفرنس. منكرات من لدرس الأستاذ صلاح الدين بن عبيد

تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

## 4.2 الخصائص والمؤثرات

سبق الحديث عن أن الأزمة التأسيسية في الإسلام تعطلت في مفارقة أو تناقض تمثل في تراهن استيلاء العنصر السلطوي على المشروع النبوي من جهة وترك المجال لبعض الحرية الفكرية باعتبار أن الدولة لازالت في فترة مدّة وازدهار ولكن سرعان ما بدأت عملية التطويق مملنة بداية الإستبداد كمشروع كلي. وهي بداية المحنة بالنسبة للفكر والمفكرين.

### 4.2.1. الإجهاد "الصحافي"

يقاسم هذا الإجهاد حركات و ذهنيات و أساليب فكرية مختلفة ساهمت في تكوين بنية محافظ ساد تاريخ الإسلام عموماً لكنه خلف فيه آثاراً متفاوتة تتطرق من المعارضة العنيفة (الخوارج<sup>1</sup>) مروراً بتصويب و تعميم إيديولوجيا الاعتدال بسحرة من الاستسلام (المذهب الأشمري<sup>2</sup>) وصولاً إلى تبرير للنظام الاستبدادي للخلافة (الأدب السلطاني<sup>3</sup>).

### 4.2.1.1. نمط الخوارج في معارضة المملكة الإسلامية

#### 4.2.1.1.1. نشأتهم ومحاربتهم المطلقة:

عندما لول على ابن أبي طالب التحكيم في واقعة صفين على نهر الفرات (جوان -جويلية 657 ميلادي) أمام معاوية ابن أبي سفيان ( وقد اقتضى ذلك التحكيم أن يختار كل فريق حكماً : عمرو بن العاص من معاوية وأبو موسى الأشمري عن الخليفة علي ) انفصل فريق ثالث كان ضمن جند علي وأكثرهم من قبيلة بني تميم أحمد أمين، فجر الإسلام ص 256 ) وعارضوا التحكيم في كتاب الله باعتباره تنكراً للذين، شعارهم في ذلك : 'الحكم لله لا للرجال' ( حسين مروّة النزاعات المادية في الفلسفة المربية الإسلامية، ص 510 ) . وفي روايات أخرى : " لا حكم إلا لله » ( أحمد أمين المرجع السابق ) ردّ عليها علي بن أبي طالب بقولته المشهورة: كلمة حقّ أريد بها باطل" فطلبوا من عليّ التراجع عن التحكيم والحول عنه وناضلوا من أجل ذلك. وعند رفض الخليفة خرجوا عليه وأطلق عليهم خصومهم اسم

« الخوارج » بسبب ذلك (و يستعمل أيضاً الغرورية نسبة لقرية نزلوا فيها اسمها حروراء بظاهر الكوفة). وإن كانوا يبرّزون التسمية بموقف آخر هو "الخروج في سبيل الله" استناداً إلى قوله تعالى: " ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله " سورة النساء الآية 100 .

وقد هزمهم الخليفة علي في معركة النهروان (658 ميلادي) <sup>4</sup> لكنهم أصلوا معارضته حتى توصلوا إلى قتله في مسجد الكوفة 24 كانون الثاني 661 فاتحين بذلك باب الخلافة أمام أعدائهم الآخرين أي بني أمية في حين أنهم أخفقوا في قتل معاوية وعمرو بن العاص. ومع ذلك فأنهم سيقون شراكة في جنب الدولة الأموية يحاربونها بصفتها مصادمة وبشدة وشجاعة نادرة . يقاطرون في نثر بسيط للذين من الجند الأمويين فيهزموهم (٩) كما شاركت نساوهم في الممارك ( انظر في هذا الباب أحمد أمين فجر الإسلام 257 ثم " العقد الجديد" لابن عبد ربه الخ...). ولم يتطلب عليهم الأمويون إلا بناء لكنهم استمروا في معارضة السلطة حتى ضعف شأنهم أيام الدولة العباسية.

#### 4.2.1.1.2. فريق الخوارج . صفرون قروباً، منها:

— الإباضية : نسبة إلى عبد الله ابن اباض التميمي وقد انتشروا في المغرب العربي. لم تكن من أشد الفرق إذ إنهم كانوا يعتبرون "أن بلاك محاليتهم من المسلمين هي ديار توحيد إلا معسكر السلطان يقصرون به هنا حكام بني أمية و سائر الأمراء الجور"<sup>5</sup>

<sup>4</sup> انظر 13 p, 1977, Payot, Paris, *Les schismes dans l'Islam*, Henri LAOUST.

<sup>5</sup> انظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، بيروت / دار الجيل و القاهرة / مكتبة القومعة المرئية، الطبعة 14 ج 1، صفحة 320

كتابة الحقوق و العلوم السياسية بفرنس. منكرات من دروس الأستاذ صلاح الدين بن عبيد تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

– العسكرية من أشهر فرق الخوارج أتباع زياد بن الأصغر<sup>7</sup> وهو الذي لا يُكفر الذين قعدوا عن القتال ما داموا مقتنين في الدين والاعتقاد وقال : إن التقية جائزة في القول دون العمل و لم يحكم بقتل أطفال المشركين و لا يكفونهم أو تخليدهم في النار، و فرق بين الكبير التي يلزم فيها و التي لا حد عليها فلم يُكفر مرتكب الأولى إنما كفر مرتكب الثانية<sup>8</sup>

– الأزارقة : أصحاب نافع ابن الأزرق الحنفي. من أقوى الفرق وأكثرها عددا. وقد كثر وجميع المسلمين ما عداهم ( البغدادي: الفرق بين الفرق<sup>9</sup>). فعلا فإن نافع هذا و أصحابه كُفّر عليّ ابن أبي طالب و جميع المسلمين... الفرق هم من كثر العرب و عبيد الأوثان (وكان هنا تهديد لنظرية القتال – بما فيه الإسلام السياسي المخلص) كما قال عن بلادهم إنها بلاد حرب (وكان هنا تهديد لنظرية القتال – بما فيه استباحة لدماء المسلمين – عند الرقابية و في الإسلام السياسي المعاصر). من ذلك امتحان من انضم إليهم بأن يقتل أحد أسرى مخالفيهم (انظر نفس الأسلوب في عصرنا هذا لدى الجماعات الإسلامية المسلحة) ويتفق جأ الباحثين في الموضوع على أن الخوارج كانوا في أطيبتهم من العرب البدو والموالي الذين انضموا إليهم إيجابيا برأيهم التيمقراطي في الخلافة<sup>10</sup> (أحمد أمين فجر الإسلام 261 – 262 )

4.2.1.1.3. من أفكارهم :

• التكفير :

يكفر الخوارج من لم يشاطرهم الرأي حتى إذا كان مسلما وبهذه الصورة ففتحوا الباب – تاريخيًا للمنهج الوهابي و الظاهرة الإسلام السياسي.

• في اختيار الخليفة :

يقولون بصلاح المسلم الذي تتوافر فيه شروط الإمامة بصرف النظر عن نسبه وجنسه ولونه. وفي ذلك معاداة لقرين التي احتكرت السلطة.

يفضل الخوارج الإختيار والبيعة وهم في ذلك ضد فكرة الشيعة القائلة بأن الإمامة من شؤون السماء. ثم إن الإمامة هي فرع من فروع الدين ولا من أصوله. ومصدر الإمامة هو الرأي وليس الكتاب أو ليس السنة.

- في القعدة : الخروج أو الثورة على أئمة السفق واجب.
- حد القراء : شراء الجنة بالإستهاد في سبيل الله : "الذين اشتروا الجنة عندما باعوا أرواحهم..."
- مرتكبوا الكبائر : إن من ارتكب ذنوب الكبائر ومات دون أن يتوب منها فهو محكوم عليه بالكفر والخلود في النار. وقد تبلورت فكرتهم هذه ضمة بني أمية من المبادئ الأخرى عدد الخوارج :
- مقاومة الجور : يتمسكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – والسيف ( أي القوة) هو أداة رئيسية للتفاج عن المبدئي.

وإمام بطش بني السباس تقهر الخوارج لكن بقيت أفكارهم غير التاريخ إذ توصلت كما سبق ذكره غير العديد من مبادئ الحركة الوهابية ( نسبة محمد ابن عبد الرهلب 1702 – 1792 ) و اليوم مع الجماعات الإسلامية.

4.2.1.2. الأشعرية

1 – المؤسس : أبو الحسن ابن اسماعيل الأشعري المولود في البصرة سنة 260 هـ / 873 ميلادي والمتوفى في بغداد في 324 هـ / 935 م وهو من ذرية أبي موسى الأشعري أحد الحكمين في صفين .  
 أتبع في البداية المذهب المعتزلي إلى حد سن الأربعين – لكنه اعتكف مدة أسبوعين ثم ذهب إلى المسجد الكبير بالبصرة وأعلن على رؤوس الملء عدوله عن الاعتزال ( في مسألة العدل وخلق القرآن انظر لاحقا ):

2 – المذهب الأشعري :

6 المصدر نفسه

7 نفس المصدر استنادا للشمودي : الفرق بين الفرق.

8 كلية الحقوق و العدل - السياسية بوزنيس. محكرات من درس الاستصلاح للدين بن حبيد تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

ينطلق من موقع رفض أبي الحسن الأشعري للإعتزال – إذ اعتبر أنه لا يتعين الإفراط في أعمال العقل. فهو إذن لم يقكر العقل بل اعتبر أنه لا يشترك كعنوان مطلق *critère absolu* لمع العقيدة والمعتقدات الدينية الأساسية – فإن إعطائه قيمة مطلقة للعقل من شأنه أن يؤدي إلى إبعاد الدين. أما القرآن فهو يثير مسألة التيب في مواقع عديدة باعتبارها مبدأ أساسيا في الدين، والغيب بطبيعته يفوق الطرح العقلاني. لتفكير الأشعري يتمثل في التوفيق بين عنصرين متباينين إذ لم تقل متضادين هما العقل من جهة والدين من جهة أخرى. وهذا المنهج التوفيقى يسيطر على الإسلام السني وصولا إلى عصرنا هذا.

ثم يعتبر بعض المختصين أن الأشعرية في نزعتها التوفيقية عبرت عن حرصها في عدم المشاركة في تشييت الأمة وإبطلت قبيل الفتنة (وكان النقد يودي حتما إلى ذلك) وقد ولعت بذلك في الانتهازية المنغلقة في مدح العامة والامتثال لقرعائها البسيطة.

والغريب في الأمر أن هذه الرغبة الملحة للأشعرية في إظهار مصاداتها للإعتزال لم تجتهدا فقد أعداء آخرين للمعتزلة مثل المذهب الحنبلي الذي علب على الأشعرية قلة جراتها المنغلقة في عدم الرجوع صراحة للنص الأصلي أي عدم التزامها بقرينة النص (القرآن والحديث) كذلك رمز السلفية الفتيخ ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية اللذان علما على الأشعرية عدم احترامها المطلق للنص – أي هنا أيضا المحاكاة اللفظية. إلا إن هذه الانتقادات التي تبدو غير منتظرة باعتبار أنها صلاصة عن أعداء الاعتزال تساهم في توضيح الخط الأشعري. إذ إن هذا المذهب الذي أصبح سائدا على المجتمع الإسلامي السني إلى حد اليوم يمثل في الحقيقة موقع الوسط الذي ترفضه الأقلية المستتيرة – مثل المعتزلة، كالأقلية "الثورية" مثل اتباع السلفية و الإسلام السني.

مكثا سطنفى الأشعرية بإعلامها – ننكر منهم البلالاني (أبو بكر المتوفى في 1013 / 403) صاحب كتاب التوحيد ، عبد القاهر البغدادي (المتوفى في 1037 / 427) ، أبو حامد النزالى (المتوفى في 1111 ميلادي) ، المهدي ابن تومرت (المتوفى في 1130 م) ، الشهرستاني صاحب "الملل والنحل" (المتوفى في 1153)، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني صاحب كتاب الإرشاد الذي يعتبر المعتم للمذهب الأشعري.

4.2.1.3 الأديب السلطاني *Miroir des princes*  
 وهو جانب هام إن لم نقل رئيسي من النظرية السياسية في الإسلام. ظهر ببطء تركيز دعائم التوتلة وجمع شمل الأمة . إلا أنه ويتأكد على بعض الممارسات السياسية ساهم في تمييق التوجه السلطوي وذلك بتقديم تبريرات نظرية للتحلي التدريجي عن روح الرسالة الإسلامية في نظام الحكم . هذا مع الملاحظة أنه يصعب التشكيك في "حسن نوايا" كل الذين فتحوا له الباب. فالأمر راجع بدون شك لسعاقات الأزمة التأسيسية وما ترتب عنها من انعكاسات للعبادى مثل " حتمية " شرط النسب القرشي في اختيار الخليفة، وهو نوع من الممارسات " السلطانية " الوراثية التي أفرغت الثغورى من محتواها.

من أعلام هذا التيار نخص بالذكر : أبو الحسن الماوردي – المتوفى في 450 هجري صاحب " الأحكام السلطانية " الذي نسب أيضا لأبي بطلو الفراء الحنبلي المتوفى في 458 هـ . كذلك عبد القاهر البغدادي السالف الذكر .

#### 4.2.2. الأوجه العقلاني الروحاني

4.2.2.1 المعتزلة

من قدماء المتكلمين في الإسلام. وهم فرقة تكويت منذ النصف الأول للقرن الثاني هجري.

#### ● سبب التسمية :

كاتبه الحنوف و الملوم التيامية بونس . حكرات من درس الأستاد صلاح الدين بن عبيد تاريخ الفكر السياسي، السنة الثانية حقوق

حسب البغدادي: اعتزلوا عن الأمة بآر التهم – وذلك لموقفهم من المعتزلة بين المعتزلتين . وهناك تفسير للشهرستاني : عندما حصل خلاف بين أحد المؤسسين وهو واصل ابن عطاء ( م 131/748 ) وشيخه الحسن البصري ( م 110/728 ) " اعتزل " الأول مكانا في المسجد.

#### ♦ آراءهم :

1. في التوحيد – ( يسمون أنفسهم أهل التوحيد ) تغير المعتزلة أن الله يحكم عليّته منزّه عن الصفات التي تنسب أي للإنسان. فهو فوق كل وصف وهو خارج عن إطار الزمن والمكانة. وبالتالي تقول المعتزلة بخلق القرآن.

2. العمل الإلهي : يفترض أن الإنسان حرّ ومسؤول عن أفعاله وإلا لئن فكرة الجواز في الآخرة لا قيمة لها.  
3. الوعد والوعيد : إن العمل الإلهي – الذي سمح بحرية الإنسان يفترض عدم اعتبار المومن والمنذب على قدم المساواة مما لا يؤدي إلى تقلل دور الرحمة الإلهية.

4. المعتزلة بين المعتزلتين: وهي موقف من الكتب. يؤكّد المعتزلة بين الصفات وهي الأخطاء أو الذنوب الخفية وبين للكليات وهي الأخطاء أو الذنوب الكبيرة. فالمعتزلة لا تؤدي إلى إقصاء المومن عن أمة المسلمين بشرط عدم المورد. أما الكليات فهي بدورها صنفان: الكثر ثمّ يأتي الذنوب... تتسبب في طرد المسلم عن الأمة بدون اعتباره كائنا فهي منزلة بين منزلتين .

هذا تجدر المقارنة مع فرقة أخرى هي المرجئة ظهرت في العصر الأموي خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة و تكون لا تأثرت بالمسيحية. ترجع تسميتها إلى الإرجاء وهو التأخير "لأنهم يرجون الحكم على الضمّة من المسلمين يوم البعث" (البغدادي: الفرق بين الفرق) كما يتحرّجون من إداة أي مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترنها و ذلك استنادا للآية: "وأعدون مؤجّزون لأمر الله إنّما يعقّبهم وإنا يؤتب عليهم و الله حكيم عليم" (التوبة، 106).

5. الأمر بالمعروف، المنل لا يقبل في تحجّب الذنوب فحسب فهو أيضا عمل جماعي في نطاق الأمة فتحت الباب للعمل الإجتماعي (الإجلمي) .

بالخلاصة على هذا المستوى هي إن المعتزلة أكرأ على الحرية ومضاعفاتها (مسؤولية الإنسان) ، فالتقليل من قيمة الذنوب ثمّ الحث على النور الإجتماعي والسياسي للمومن وفي ذلك تجاوز لما فرضه الفقه السطوي من آليات تقديم الإنسان و فرض الوصلية عليه.

#### ♦ ممارستهم للإضطهاد:

بالرغم من هذا التعلق بالمقالاتية و الفكر المستنير فإنّ المعتزلة مارسوا الإضطهاد ضدّ المفكرين و الحركات الفكرية الأخرى و ذلك بالإستعانة بالسلطة السياسية (عصر الخليفة السامون بالأساس) إلى حدّ إن تلك الفترة سميت بالصفحة.

من أبرز شخصيات المعتزلة التي أسبت إليها مسؤولية المحنة أو بالأحرى تنفيذ السياسة المعتزلية للخليفة السامون" هو القاضي ابن أبي تُوّال وكان سورياً من قشّرين. كما إن هناك شخصيات أخرى نذكر منها:

• أبو هذيل العلاف (متوفى في 841 أو 850 هجري) صاحب فرع البصرة للمعتزلة. استعان به السامون لخطبه لبعدها و هو صاحب كتاب "الحجج". اشتهر بملاحقة الزنادقة و المانويين (ديانة ماني الفارسية) و أتباع الزرشتيّة.

• النظام (متوفى في 846 هجري) الذي كان تحت حماية جعفر البرمكي و هو الذي اشتهر بصرفته المصمّنة للفلسفة اليونانية falsafa و قد شكك في الإعجاز القرآني و في معجزات الرّسول. يقول عنه البغدادي (الفرق بين الفرق) إنه استقل الواجبات التفرعية فطمس في أسسها مثل إجماع الأمة consensus communautaire وكذلك القياس متهجّما على الصحابة بمن فيهم أبا بكر وعمر وعليّ. أمّا الشهرستاني (صاحب الملل و النحل) فهو يقول عن النظام إنه فضل الفاسفة الملاحية.

إلا أنّ الاعتزال لم يتمكن من التقليل في الأوساط الشعبية إذ بقي في نهاية الأمر تيارا فكريا نخبويًا و بالرغم من ذلك فإنّ الخليفة السامون أعلنه في 827 مذبها رسميًا للثورة و هو ما فسّر بداية المحنة المذكورة للمديد بما فيها الإمام أحمد بن حنبل. و توصلت المحنة في خلافة الواثق (842 – 847).

## 4.2.2. التصوّف و نظرية الإنسان الكامل

ظهر التصوّف في بداية الدولة الإسلامية (والتصوّف هو "صدق الرابطة بين الإنسان وخالقه" عن يوسف زيدان : الطريق الصوّفي). إلا أن هذا الإسلام الصوّفي عرف هو أيضا مستويين :

– الكعبة التي امتازت بالتصوّف الفلسفي (محي الدين ابن عربي ) أو السلوكي الفردي ( جنيّد والحلاج ) أو الزاهد ( رابعة العدوية ، ابن الفارض المصري ).

– ثم المستوى الشعبي القرقي ( جمع طريقة ) وهو إسلام جماهيري.

لما هي ترى الفلسفة المركزية للتصوّف ؟ لقد تعمّرت النظرية الصوفية حول مفهوم " الإنسان الكامل " سواء كان ذلك بصفة متكاملة أو حسب نظره تفصيلية جمّت أطالب وشيوخ التصوّف يتناولونها في فروعه. وأساسها هو مفهوم الفرد.

◆ ما هي نظرية الإنسان الكامل ؟

نظرية راحة في الفكر الصوّفي – اشتهر بها عبد الكريم الجيلي 767 – 805 ؟ مهجري – أصله من منطقة جيلان بغارس ( مثل القطب عبد القادر الجيلاني ) – وضع مؤلفا متعلّقا في قصيدة ( على نمط الأقطاب ) وهي " اللذرات المنيّة " ثم كتاب " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " . يمكن تقديم هذه النظرية بكونها " أعلى مقامات التكوين التي يمكن أن يصل إليها المتالك لطريق الله إذا دارم على سلوكه حتى تتركه العناية الإلهية فيتصل ببيع الكمال " ( يوسف زيدان : التصوّف الإسلامي ص 149 ) بذلك يرتقي المارّف إلى مقام الأرواء " أهل الغيب " الذين لم تشظهم غير الذات الإلهية.

المهم (وفي لغة معاصرة) هو إن هذه النظرية تزيل الوصلية عن المسلم فيصبح المسلمون في نفس المرتبة وذلك بالعبادة (تكون جماعية : الطريقة) أو شخصية (الزهد) . فهو مقام الإنسان المتحرّر لا يجوز تقييده سياسيا بخطاب يعني كما لا يمكن تكفيره . والتحرر من الوصلية هو ميزة الثوير حسب الفيلسوف Kant في نصّ مشهور " *Où est-ce que les lumières ?* فالإنسان حسب النظرة الصوفية قد يبلغ درجة الحرية العقلية وهي النتيجة الأساسية من حيث الفلسفة السياسية.

◆ مفهوم الفرد :

الأفراد جمع فرد وهو في النظرية الصوفية مثل " الجزئية " التي تدور حول مدارها (و هو خالقها). والبشرية مجموعة أفراد يمتلك كل فرد فيها بذات مستقلة.

ظهر هذا المفهوم (بوضوح) في فلسفة محي الدين ابن عربي في مؤلفه الشهير " الفتوحات المكية " فالأفراد هم :

" المعشكون " ، " المنزلون " ، " الزاهدون " وهم "المقربون" سورة " الواقعة " الآية 11 : "أو لراك المقربون" وهو التعبير عن حرّيتهم وعدم تسلّط ووصلية إنسانية عليهم. وهو ما يسمح لابن عربي بطرح حقيقة قد تبدو اليوم مناقية لمقاتلة الوصلية التبتية وذلك بقوله : "الطريق واحد وإن لكل شخص طريق تخصصه". فإنّ الطرق إلى الله تعالى على تعدد أنفاس الخلاق ... وغاية كلّ طريق هو الله " .

وهذه الحرية في التوجه هي التي أكد عليها في ما بعد الراهب الألماني : Martin Luther ( 1517 ) في ثورته الإنجيلية Protestantisme التي مكنت كلّ مؤمن من التأويل الشخصي بدون وصلية الكنيسة.

وللتأكيد على الفردانية يذهب ابن عربي إلى حدّ تفريغ صنف آخر منهم وهو صنف الملازمة أو أهل السلام : " كالفرون " في الظاهر : يضرّبون القوانين الاجتماعية (بمضى الوصلية الجماعية) عرض الحائط لكنهم في الباطن عاشقين لله و لأمثالهم من البشر. فهم على بيّنة من الأمر يحترمون القوانين الأساسية في العقيدة والمعاملات، ليسوا في حاجة (مثل فالدي نزعَة التحرر ) إلى من يد لهم.

في هذا الإطار نفهم محنة الصوفية وخطورة الطريقة على النظام الاستبدادي في الفتناء العربي الإسلامي وهو خطر متعلّق بالأماس في رفض التكبير – أي الحكم على الآخر – أو الوصلية. ربّما هنا يكمن المنهج السليم في تطوير منزلة الإنسان في الإسلام ليصبح فردا عصريّا صانعا للمجتمع الديمقراطي.